INSTITUT
DU MONDE
ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

رينهارت دوزي

REINHART DOZY

عبد القادر بوباية

100 كتاب وكتاب
35

رينهارت دوزي

REINHART DOZY

الكتاب : **رينهارت دوزي**
المؤلف : **عبد القادر بوباية**
الطبعة : الأولى 2022
عدد الصفحات : 128
القياس : 13 × 19
الإيداع القانوني : 2022MO0743
الترقيم الدولي : 978-9920-677-28-8

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب
6، زنقة التيكر
هاتف : 212522810406+
فاكس : 212522810407+
markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان
الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي
هاتف : 9611747422+
فاكس : 9611744733+

INSTITUT
DU MONDE
ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

رينهارت دوزي

REINHART DOZY

عبد القادر بوباية

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

المحتويات

عتبة..... 7
مقدمة..... 9
نبذة وافية عن حياة رينهارت دوزي..... 13
الأصول والميلاد..... 13
النشأة والتعليم..... 18
حياته العائلية..... 21
مسيرة دوزي الاستشراقية والعلمية..... 21
وفاة دوزي..... 38
عرض موضوعي لمؤلفات المستشرق الهولندي الكبير
رينهارت دوزي وأهم أطروحاته المتميزة..... 39
أولاً : المعاجم والقواميس..... 39
ثانيًا : الترجمة والتحقيق..... 44
ثالثًا : البحوث والدراسات..... 58
رابعًا : المقالات والتعليقات..... 67
خامسًا : فهارس المخطوطات..... 69
أهم أطروحاته المتميزة..... 69
مختارات من كتاباته الفكرية والإبداعية تبرز أسلوبه
ورؤيته للعالم العربي..... 76

تاريخ مسلمي إسبانيا..... 76
المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب..... 87
ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام..... 93
كتاب نظرات في الإسلام..... 99
كتاب تكملة المعاجم العربية 102
مختارات من تكملة المعاجم العربية..... 105
مختارات مما كتب عنه من قبل باحثين معتبرين..... 106
ثبت ببليوغرافي مختصر لأهم أعماله..... 123
خاتمة..... 127

عتبـة

يصـدر هذا الكتاب ضمن مشروع معرفي طموح، تبنته ونفذته مؤسستان ثقافيتان كبيرتان، هما "جائزة الملك فيصل" بالرياض، و"معهد العالم العربي" في باريس، ممثلاً في "كرسي المعهد". يهدف هذا المشروع إلى التعريف بمائة عالم وباحث، من العرب والفرنسيين، ساهموا في تقديم إحدى الثقافتين للأخرى. لقد كرس هؤلاء الباحثون والمثقفون، العرب والفرنسيون، جهودهم لتعزيز مختلف أشكال الحوار الجاد، والتفاعل الخلاق بين ضفتي المتوسط، خلال القرنين الماضيين. وبفضل منجزاتهم الاستثنائية استحقوا الاحتفاء بهم، والكتابة عنهم، من أجل تخليد ذكراهم، والتعريف بهم لدى الأجيال التالية؛ التي نأمل أن ينظروا إليهم باعتبارهم رموزاً مشعة، تلهم العقول، وتضيء مسالك المستقبل، لكل من يعي أن الثقافة بمكوناتها العلمية والفكرية والجمالية، هي الطريق الأمثل للتعارف والتعاون بين البشر.

اختيار ستين شخصية عربية، وأربعين شخصية فرنسية، جاء نتيجة لعمل مهني متصل، بذلته لجنة علمية مشتركة على مدار أشهر. حرصت اللجنة أن تكون الأسماء المختارة ممثلة، قدر الممكن، لمختلف الفترات التاريخية، والتخصصات المعرفية،

والتوجهات الفكرية والإبداعية. إننا ندرك تماماً أن في كل اختيار مخاطرة. ولو كتبنا عن ألف شخصية وأكثر، فسيظل هناك أعلام يستحقون الحضور ضمن هذه السلسلة.

يتوجه هذا المشروع الثقافي إلى قارئ عام يقظ، قد يدفعه فضوله إلى المزيد من البحث المعمق في منجزات هؤلاء الوسطاء الثقافيين، الذين طالما استمتعنا بكتاباتهم، وأفدنا من أفكارهم الغنية المجددة.

إنها قناعة من المؤسستين بإضاءة مائة شمعة، تدشيناً لعمل مفتوح، نأمل أن يتممه آخرون من بعدنا، وهنا يحقق المشروع أهدافه الأكثر جمالاً ونبلاً.

خالص التقدير للمؤلفين، الذين آمنوا معنا بالفكرة، وساهموا في تحقيقها. والشكر الأوفر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئة الجائزة، والسيد جاك لانغ، رئيس المعهد، لدعمهما ومتابعتهما للمشروع. والله الموفق.

أمين عام الجائزة	مدير عام المعهد
عبد العزيز السبيل	معجب الزهراني

مقدمة

يرجع تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تلقي الضوء الكافي على الموضوع، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق قد انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد "الإصلاح الديني"، وكان السبب الرئيس لظهور الاستشراق سبب ديني بالدرجة الأولى؛ فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مُرّة وعميقة.

وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي؛ فشعر المسيحيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العربية الإسلامية؛ لأنها كانت ضرورية لفهم هذه الشروح على أساس التطورات الجديدة؛ كما أن رغبة المسيحيين في التبشير بدينهم بين المسلمين جعلهم يقبلون على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز المبشرين، وإرسالهم إلى العالم الإسلامي، لذلك قام الاستشراق في أول أمره على أكتاف المُبشِّرين والرُّهبان.

إن عالم الاستشراق من أوسع عوالم المعرفة ليس فقط بما يحتويه من إنتاج علمي ومعرفي، لكنه غني أيضًا بأولئك الأعلام الذين أسّسوه، الذين لولاهم ما وجد ذلك الزخم الهائل من الكم العلمي والمعرفي، ولولاهم ما عَرف الغرب الشرق؛ حيث ساهموا بقدر كبير في تعريف الغرب بالشرق وتراثه الفكري.

ومما لا شك فيه أن المستشرقين، بغض النظر عن كل الانتقادات الموضوعية الموجهة إليهم، قد أدَّوا دورًا كبيرًا في إحياء عدد مهم من كتب التراث الإسلامي، فحفظوها من الضياع، ووفروا للمهتمين بدراسة هذه الكتب، وبخاصة منهم المسلمون، المادة الأولية التي تسمح لهم بإنجاز بحوثهم ودراساتهم.

لقد كان للمستشرقين دور مهم في نشر التراث التاريخي والأدبي لبلاد العالم الإسلامي عامة؛ وبلاد المغرب الإسلامي، ومن هؤلاء المستشرق الفرنسي الأصل؛ الهولندي المولد والنشأة والجنسية رينهارت دوزي الذي نشر عددًا كبيرًا من المصادر التاريخية والأدبية المهمة المتعلقة بهذا الجزء من العالم الإسلامي.

ويعد هذا المستشرق أحد هؤلاء الأعلام الذين أسهموا في تأسيس المنظومة الاستشراقية خلال القرن التاسع عشر، وسأعمل في هذا البحث على التعريف به، وإبراز دوره في عملية إحياء تراث المغرب الإسلامي، إضافة إلى تبيان النقائص والأخطاء الواردة في طيات الكتب التي نشرها.

فمن يكون رينهارت دوزي؟ وفيم تخصص وتميّز؟ وماذا قدم لعالم الاستشراق من إنتاج علمي ومعرفي؟ وبماذا تميزت كتاباته وآراؤه العلمية؟ تلك هي جملة التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها في هذا العمل.

وتتضمن خطة البحث العناصر التالية:

أ- نبذة وافية عن حياة العالم الفرنسي وتكوينه المعرفي، وتخصّصه وأبــرز تجاربــه العلمية، يلي ذلك عرض موضوعي لكُتبه، وإبراز أهم أطروحاته المتميزة.

ب- مُختارات من كتاباته الفكرية والإبداعية تبرز أسلوبه ورؤيته للعالم العربي.

ت- مختارات مما كتب عنه من لدن باحثين معتبرين.

ث- ثبتًا ببليوغرافيًا مختصرًا لأهم أعماله، والمواقع الشبكية التي تخصّه أو تتعلق به.

ومن أجل إنجاز هذا العمل اعتمدت جملة من المصادر والمراجع، يأتي في مُقدّمتها الأعمال المنجزة من قبل المستشرق رينهارت دوزي.

أ- نبذة وافية عن حياة العالم الفرنسي وتكوينه المعرفي، وتخصصه، وأبــرز تجاربــه العلمية، يلـي ذلك عرض موضوعي لكتبه، وإبراز أهم أطروحاته المتميزة:

1- **الأصول والميلاد:** الاسم الكامل لهذا المستشرق هو رينهارت بيتر آن دُوزِي (Reinhart: pieter Anne, Dozy)، وهو هولندي من أصول فرنسية، كان أجداده يسمون آل دوزي (d'Ozy)[1]، وأدمجت أداة الإضافة الفرنسية (d) في الاسم عند انتقالهم إلى هولندا؛ فأصبح الاسم "دوزي" (Dozy)، وكان على المذهب البروتستانتي[2].

ولو أن العديد ممن ترجموا له أشاروا في غالب الأحيان إلى أنه من

---

(1) نسبة إلى إقليم دويزي D'oisy، وهو الإقليم الذي كانت تعيش فيه أسرته التي كانت إحدى الأسر الشريفة (النبيلة) مطلع القرن السابع عشر، قبل انتقالها إلى هولندا وتفرعها إلى عدّة فروع: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الأندلس) دراسة تحليلية نقدية، ضمن أبحاث المؤتمر الدولي: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية، جامعـــة المنيـا- مصر، 4-6 صفر 1427هـ/ 4-6 مارس 2006م، مج2، ص522 نقلا عن: رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس (المسيحيون والمولدون)، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت، ج1، ص6؛ وما يدل على الأصول النبيلة للأسرة قبل انتقالها إلى هولندا احتواء الاسم على حرف الدال (D).

(2) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، صص 38-39/ رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1980م، ج1، ص5.

أصل فرنسي[1]، وتجنّس بالجنسية الهولندية، غير أن ذلك لا يلغي انتماءه لهولندا وللمدرسة الاستشراقية الهولندية؛ لأن مولده ونشأته وتعليمه كان بهولندا كما سنرى، والأكثر من ذلك أنه كان يدين بالمذهب البروتستانتي المذهب الديني الغالب فيها، ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن أجداده تحولوا من الكاثوليكية- المذهب الرسمي في موطن أجداده- إلى هذا المذهب.

ولد رينهرت دوزي يوم 21 فبراير سنة 1820 في مدينة ليدن[2] الهولندية، لطبيب يُدعى فرانسوا جاك دوزي (François Jacques Dozy)، أما والدته فتدعى سارة ماري فان ليليفيلد (Sara Maria van Lelyveld)، ماتت وهو في التاسعة من عمره؛ مما أثر في نفسيته كثيرًا، وهو الأمر الذي دفع أحد أساتذته إلى اعتبار ذلك سببا لصلابة شخصيته التي ميزته طوال الفترة التي قضاها في المدرسة[3].

---

(1) ويظهر لنا أن السبب من وراء ذلك هو أن العديد من مؤلفاته كانت باللغة الفرنسية؛ فمما روي عنه أنه واجه موجة عارمة من الغضب المكتوم في هولنـــدا بعد إصداره كتابه "تاريخ مسلمي إسبانيا" سنة 1861م باللغة الفرنسية؛ فقد رأى الهولنديون في ذلك امتهانا للغتهم؛ فاتهمه بعضهم في وطنيته؛ ينظر رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج1، صص12-13.

(2) مدينة بمقاطعة هولندا الجنوبية، غرب الأراضي المنخفضة، على نهر الراين، تشتهر بالمنسوجات والآلات منذ العصور الوسطى، وبها أقدم جامعة في هولندا، كما يوجد بها عدة متاحف، وكانت مركزًا للدراسات الدينية البروتستانتية والعلوم والطب والفلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وأصبحت مركزًا مهمًا للطباعة بعد سنة 1580م، حيث طبعت بها العديد من كتب التراث العربي. الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1431هـ/ 2010م- ص28، 29.

(3) M.J. De. Goeje, Biographie de Reinhart Dozy, Traduit du Hollandais par Victor Chauvin, Leide, E.J.Brill, 1883, p6

رينهرت دوزي- المرجع السابق- ص6

ترجع أصول أسرة دوزي إلى مدينة فالنسيان (Valenciennes)[1] الفرنسية[2]، وقد تولى بعض أفرادها منصب مدير منطقة كامبراي (Cambrai)، وتوارثوا هذه الوظيفة فيها، وأطلقوا على أنفسهم اسم عشيرة "أويزي"؛ ففي سنة 1603م كان يعيش في هذه المدينة فرانسوا دوزي أو دويزي (François Dozy)- أحد أجداد الأسرة- الذي انحدرت من نسله، وتفرّعت إلى فروع متعددة بعد الهجرة إلى هولندا[3] في

(1) مدينة فرنسية تقع في القسم الشمالي من البلاد على نهر ليسكو (L'escaut) في منطقة أو دو فرانس (Hauts-de-France)، جاء ذكر مدينة فالنسيان لأول مرّة في القرن السابع الميلادي في وثيقة قانونية كتبها كلوفيس الثاني (Clovis II)، ومرة أخرى في معاهدة فيردان (Verdun) عام 843م؛ ينظر غادة الحلايقة، مدينة فالنسيان الفرنسية، مقال منشور على موقع موضوع؛ الرابط:
https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9_%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9
اطلع عليه بتاريخ: 13/ 08/ 2021م.

(2) عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين- دار العلم للملايين- بيروت- ط3- 1993م- ص259.

(3) علي أدهم، المستشرق رينهارت دوزي صاحب تاريخ آداب اللغة العربية- **مجلة الهلال**- دار الهلال- مصر- يناير 1976م- العدد 1- ص18؛ وأول مهاجر من آل دوزي إلى هولندا كان فرانسوا بيترسزن دوزي (François Pieterszn Dozy) (1619-1670م)، الذي ولد له أول مولود بعد سنة من إقامته بهولندا، وهو بيير فرانسواسزن دوزي (Pierre Françoiszn Dozy) (1648-1712م)؛ ينظر الشجرة العائلية لآل دوزي على موقع: Geneat، على الرابط التالي:
https://gw.geneanet.org/ecouvret?lang=fr&pz=ellen&nz=couvret&p=francois+pieterszn&n=dozy
اطلع عليه بتاريخ: 18/ 08/ 2021م.

منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وكان ذلك بالضبط سنة 1647م[1].

ونتج عن ذلك امتزاج للدماء واختلاط للأعراق، وتأثر بثقافة البلد الجديد الذي استقروا به؛ ولكن ما الذي دفع بالأسرة إلى الهجرة من فرنسا إلى هولندا بالذات؟ في اعتقادنا أن نزوحهم هذا كان راجعًا لأسباب دينية، فقد ذكرنا أن أسرة دوزي كانت تتبع المذهب البروتستانتي، والقرن السابع عشر هو عصر الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، وعصر الاضطهاد الديني في أوروبا، وكانت هناك فئـــة بروتستانتية مضطهدة تعيش في فرنسا تدعى "الهوجونوت" (Huguenot)[2]، كانت من بينها أسرة دوزي بلا شك، التي فضلت الرحيل إلى هولندا، التي كانت آنذاك قلعة البروتستانتية وقبلة المضطهدين دينيا كالبروتستانت واليهود الملاحقين من طرف السلطات الكاثوليكية، التي أوكلت إلى محاكم التفتيش مهام ملاحقة هؤلاء والحكم عليهم بالموت.

وقد تصاهرت أسرة دوزي بعد نزولها في هولندا مع أسرة اسخولتنس (Schultens)[3] التي ينتمي إليها ثلاثة من كبار المستشرقين

---

(1) الزركلي- المرجع السابق- ص39

Gustave Dugat, Histoire des orientalistes de l'Europe du XII^e^ au XIX^e^ siècle, Paris, Public Domain Mark, 1870, Tome Second, p44.

(2) مصطلح يرجع إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي في فرنسا، أطلق على الفرنسيين الذين كانوا يتبعون المذهب البروتستانتي (الكالفيني) في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهم الذين أيدوا التقليد الإصلاحي للبروتستانتية؛ انظر Mimir موسوعة اللغة العربية، الرابط:

https://mimirbook.com/ar/، اطلع عليه بتاريخ: 16/ 08/ 2021م.

(3) تمت هذه المصاهرة باقتران إليزابت دوزي من ألبرت اسخولتنس الشهير، وأنجبت منه ابنهما جان جاك اسخولتنس، وكلاهما من مشاهير المستشرقين في=

الهولنديين الذين عاشوا في العصر الكلاسيكي للاستشراق، وهم ألبرت اسخولتنس (Albert Schultens)[1] (1686–1750م)، وجان جاك اسخولتنس (Jean Jacques Schultens)[2] (1716–1778م)[3] وهنري اسخولتنس (Henri Albert Schultens) (1749–1793م)[4].

= هولندا، إلا أن الإنتاج العلمي لهذا الأخير كان قليلًا نظرًا لأنه استغرق جهوده وكتاباته في الخلافات اللاهوتية في عصره، انضم فرع من عائلته إلى اسم شولتنز، ويسمى اسخولتنس- دوزي (Sehultens-Dozy).

Gustave Dugat, Op.cit, p44.

(1) تعلّم العربية والكلدانية والسريانية والحبشية في جامعة ليدن، وعُيّن أستاذًا للغات الشرقية، وأول مترجم فيها، وفي كرسي نصوص الكتاب المقدس (1740–1750م)، وهو أول من بدأ بدراسة مقارنة اللغات السامية، وتاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، وتعداد الأسر بين اليهود والعرب فيها، وقد خلفه في الجامعة ابنه جان وحفيده هنري، وكانا أيضًا من المهتمين باللغات الشرقية في القرن الثامن عشر. انظر نجيب العقيقي- المستشرقون- دار المعارف- القاهرة - ط5- 2006م- ج2- ص305.

(2) مصلح إنجيلي، وأستاذ في اللاهوت، التحق بجامعة ليدن سنة 1730م، تحصل على دكتوراه في اللاهوت سنة 1742م، ثم أصبح أستاذًا للغات الشرقية في هيربورنث مفيليدن ما بين سنتي (1744–1749م). انظر موقع:

hessen: Historisches Informations system des Landes Hessen

(نظام المعلومات التاريخية لولاية هيسن)؛ الرابط:

https://www.lagis-hessen.de/de/

اطلع عليه بتاريخ: 13/ 08/ 2021م.

(3) بدوي- المرجع السابق- ص259.

(4) درس في ليدن العربية والعبرية حاصرًا جهده فيهما، قام برحلة إلى إنجلترا سنة 1772م لجمع المخطوطات العربية والعبرية؛ فزار أكسفورد وكمبريدج، وبعد عودته إلى هولندا عين أستاذًا للغات الشرقية في جامعة أمستردام، ثم انتقل إلى جامعة ليدن سنة 1788. انظر العقيقي- المرجع السابق- ج2 ص305.

يبدو أن المحيط الأسري الذي انتمى إليه هو من أيقظ في نفسه حب دراسة الشرق، وسيصنع منه مستشرقًا ناجحًا في المستقبل؛ حيث إن الفارق بين ميلاد هذا الأخير ووفاة هنري اسخولتنس هو سبعٌ وعشرون سنة فقط، ممّا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن دوزي كان على صلة مباشرة بما خلفه هؤلاء العلماء.

2- النشأة والتعليـم: أمضى دوزي عدة سنوات تحت نفقة السيد فان فين (Van Veen) في فاسينار (Wassenaar)[1]، وهي بلدية تقع في مقاطعة جنوب هولندا، وأظهر منذ صباه الباكر حبًا كبيرًا للدراسة؛ فكان مولعًا بتعلم اللغات والجغرافيا والتاريخ، وفي المقابل كان له نفور من العلوم الدقيقة[2]، وعندما دخل جامعة ليدن سنة 1837، وهو في السابعة عشرة من العمر أبدى تفوقًا ظاهرًا على أقرانه في اللغات والآداب الحديثة؛ فأتقن الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية؛ حيث قرأ لعديد من الشعراء الهولنديين والفرنسيين والإنجليز والألمان، خصوصًا وأنه أكبَّ على دراسة اللغــة الألمانية في العصر الوسيط: فدرس ملحمة "النيبلونجن" (Nibelungen)[3] التي هي بمثابة إلياذة

(1) M.J. De. Goeje, Op.cit, p6.

(2) Gustave Dugat, Op.cit, p45.

(3) كتبت حوالي عام 1200م من طرف شاعر مجهول، تجمع عدة عناصر من أشكال أدبية مختلفة، فنجد فيها موضوعات تتعلق بالثقافة الجرمانية، إلى جانب المغامرات التي اشتهر بها المغنون في القصور، وقصص وروايات المحاربين والفرسان والبلاط، وهي تتألف من أكثر من ألفين وثلاثمائة مقطع يصور تسعًا وثلاثين مغامرة:
Najat Isa Hasan, Die tragische Liebeim Nibelungen lied For schungs arbeit vor gelegtvon, Journal of the College of Languages, Baghdad University, 2012, Volume, Issue 25, p283.

الألمان[1]، كما أنه كان يعرف اللغة البرتغالية، في حين أنه لم يتعلم الإسبانية بعد[2]، هذا بخصوص اللغات الأوروبية التي تعلمها، كما نتج عن إتقانه لهذه اللغات شغف بتعلم اللغات الشرقية.

بدأ دوزي في تعلم مبادئ اللغة العربية في المنزل أولًا[3]، ثم على يدي ناظر إحدى المدارس الثانوية قبل التحاقه بالجامعة[4]، وذلك بعدما عرض عليه أحد زملائه- الذين اتجهوا لدراسة علم اللاهوت- أخذ دروس في اللغة العربية من مدير قاعة رياضية حسب ما يذكره غوستاف ديجا، وقد قبل ذلك؛ لأنه كان شغوفًا بالرومانسية، التي كانت تستلهم مواضيعها وتصوراتها من العصور الوسطى والشرق، كما كان مفهومًا في الدول الناطقة باللغات الجرمانية ومنها هولندا آنذاك، وذلك قبل التحاقه بالجامعة، حيث دخلها وهو على استعداد جيد بالفعل[5].

وبعدما التحق بجامعة ليدن واصل دراسة العربية على يدي الأستاذ

---

(1) بدوي- المرجع السابق- ص259/ Gustave Dugat, Op.cit, p45

(2) Gustave Dugat, Op.cit, p45.

(3) نجيب العقيقي- المرجع السابق- ج2 ص308.

(4) بدوي- المرجع السابق- ص259؛ وهذا الناظر هو الأستاذ جلدر (Gelder)، وهـو أستاذ اللاهوت، وقد شرع دوزي في تعلم العربية على يديه منذ بلغ الرابعة عشرة من عمره، وكان هذا الأستاذ يصطفي النوابغ من تلاميذه ليلقنهم العربية، حيث لاحظ جلدر براعة الصبي دوزي، فعزم أن يعلمه هذه اللغة، بعدما أيقن موهبته وذكاءه اللذين لو أحيطا بالعناية والاهتمام سينجبان رجلًا يعتد به في الغوص في الكتب العربية. رينهرت دوزي- المرجع السابق- ج1- ص6.

(5) Gustave Dugat, Op.cit, p45.

فايرز (Weijers) (1805–1844)[1]، كما درس عليه العبرية والكلدانية والسريانية، وكان فايرز في الوقت نفسه مديرًا لقسم المخطوطات العربية في مكتبة ليدن[2]، "لقد كان فايرز بالفعل مُدرّسًا نموذجيًا، لا أحد يتحدث مثله، ولا يضاهى أسلوبه في التدريس، واضح وصبور وطيب إذا جاز التعبير...، لقد كان له تأثير مفيد للغاية على دوزي"[3].

إضافة إلى فايرز، كان العالم إتيان كاترمير (Étienne Quatremère) من بين الأساتذة الذين أثروا فيه تأثيرًا كبيرًا[4].

---

(1) واسمه الكامل هندريك انجلين فايرز (فايرس) وعند يوهان فوك (فاييز) (Hendrik Engelin Weiger)، كان ممن أرسوا دراسة العربية في ليدن بعد تدهور الدراسات العربية؛ حيث كان أستاذًا للغات السامية بها، من آثاره: دراسة عن وفيات الأعيان لابن خلكان (1831م)، وشرع في وضع فهرس لمخطوطات مكتبة مجمع أمستردام الشرقية فأتمه دي يونج (ليدن 1862م)؛ توفي عن تسع وثلاثين سنة، وهو في عز العطاء، وبهذا كانت وفاته المبكرة من وراء قلة إنتاجه العلمي. انظر العقيقي- المرجع السابق- ج2 ص307/ يوهان فوك- الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين- نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش- مكتبة زهراء الشرق- القاهرة- ط1- 2006م- ص301.

(2) بدوي- المرجع السابق- ص259.

(3) Gustave Dugat, Op.cit, p46.

(4) Ibid, p47.

أما إتيين كاترمير (1782–1857م)، فهو مستشرق فرنسي عني بالتاريخ الإسلامي، حيث اهتم بنشر المخطوطات العربية، وكان يتقن اللغات السامية، إضافة إلى اللغة اليونانية، عين أستاذا للغة والآداب اليونانية في كلية الآداب بجامعة روان (Rouen) بشمالي فرنسا، ثم أستاذا للغات السامية (سريانية، عبرية، كلدانية) في الكوليج دو فرانس؛ فمُدرِّسا للفارسية بمدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس. انظر عبد الحميد صالح حمدان- طبقات المستشرقين- مكتبة مدبولي- =

3- حياته العائلية: في صيف سنة 1844م تزوج رينهارت دوزي من ماريا كارولينا فان جوور دين أوستيرلينج (Maria Carolina van Goor den Oosterlingh)، المرأة التي ستدعى لاحقًا السيدة دوزي (Madame Dozy)[1]، (توفيت 1901م)، وقد أنجب منها ستة أبناء هم:

- أدريـان ثيودور ماريوس دوزي (Adriaan Theodoor Marius Dozy) (1845-1850م).
- سارة ماريا دوزي (Sara Maria Dozy) (1847-1934م).
- جوانا أدريانا دوزي (Johanna Adriana Dozy) (1848-1930م).
- فرانز جاكوب دوزي (Frasn Jacob Dozy) (1849-1927م).
- أدريان دوزي (Adrian Dozy) (1851-1934م).
- ماريان بترونيلا دوزي (Marianne Petronella Dozy) (1858 - 1944م)[2].

4- مسيرة دوزي الاستشراقية والعلمية: بدأت رحلة دوزي في عالم الدراسات الشرقية حينما أعلن المعهد الملكي الهولندي في جلسته المنعقدة بتاريخ 16 ديسمبر 1841م عن مسابقة لإنجاز بحث حول "الملابس العربية لكلا الجنسين في مختلف الأزمنة والبلاد"[3]، ومن

= القاهرة- 1995م- صص67-68، ونرجح أن لقاءه بهذا الأستاذ كان خلال الرحلات التي قادته إلى باريس كما سنرى.

(1) Ibid, p50.

(2) Gustave Dugat, Op.cit, p50.

(3) وطرحت إشكالية المسابقة على شكل فقرة باللغة اللاتينية
M.J. De. Goeje, Op.cit, p10.

الشروط التي وضعها المعهد الملكي لتأليف هذا المعجم:

- أن يحتوي ملابس الجنسين.
- أن يشمل الملابس القديمة، التي لا تزال مستعملة حتى زمن الإعلان.
- أن تُرتب أسماؤها ترتيبًا هجائيًا.
- أن يُذكر نوع النسيج المصنوعة منه.
- أن تُذكر خاصية استعمالها[1].

شارك دوزي في هذه المسابقة وهو لا يزال طالبًا في جامعة ليدن، وكانت مسابقة عامة مفتوحة أمام جميع الباحثين من مختلف أنحاء أوروبا، وفاز فيها، وحصل على الجائزة يوم 20 نوفمبر 1843م، لكن هذا البحث لم ينشر إلا سنة 1845م، تحت عنوان: "معجم مُفَصّل بأسماء الملابس عند العرب" (Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes)[2].

اتبع دوزي في تأليف هذا المعجم طريقة جمع الكلمات التي تؤلف صنفًا من الأصناف، كما اعتمد مصادر متنوعة، فكانت قائمة مصادره غنية جدًا ومتنوعة، وإن كان معظمها يخص الأندلس وأقطار المغرب العربي ومصر، وتشمل المعاجم وكتب النحو والحديث والأدب والأمثال والقصص، وكتب الرحلات الشرقية والغربية والجغرافيا والبلدان، وكتب

(1) أحمد مطلوب- منهج دوزي في المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب- **مجلة المجمع العلمي العراقي**- 1994م- العدد 42- ص6.
(2) بدوي- المرجع السابق- ص259.

التاريخ والمذكرات، وغيرها من المؤلفات والمصادر التي لا تنتمي لأي صنف من الأصناف المذكورة[1].

كان لأستاذه فايرز دور في توجهاته الاستشراقية؛ فهو الذي أشار عليه بموضوع كتابه: "أخبار بني عبّاد عند الكُتّاب العرب"، وجعل من الست ملازم الأولى منه موضوعًا لأطروحته للدكتوراه في الآداب، التي كان حصوله عليها في الفاتح من مارس سنة 1844م[2]، التي ضمنها

---

(1) أحمد مطلوب- المرجع السابق- صص7-9.

(2) بدوي- المرجع السابق- ص259؛ كما أن فايرز كان مهتما بقراءة تاريخ المسلمين في الأندلس، وقرأ لعديد من الكتاب الأندلسيين، وأحب دراسة هذه المؤلفات مع طلبته، وكان دوزي أيضًا على اطلاع على كتب ومؤلفات حول تاريخ المسلمين في الأندلس، ومنها "تاريخ الغزو العربي لإسبانيا" (Historia de la dominacion de los Arabes en Espana- 1820) لكوندي، لكنه سرعان ما أدرك أن هذا الأخير لم يتبع مبادئ النقد في استخدام المصادر، وأنه ارتكب أخطاء كثيرة، هذا الأمر هو الذي دفع دوزي إلى دراسة اللغة الإسبانية وتعلمها: M.J. De. Goeje, Op.cit, p11

ويعلق يوهان فوك على دور فايرز في توجيه دوزي إلى الدراسات العربية عامة والأندلسية خاصة قائلا: "... بيد أن فايزر قد جذب بوجه خاص راينهارت دوزي إلى الدراسات العربية، وأدخله في دراسة تاريخ إسبانيا تحت حكم المغاربة وأدابها، وكان ما يزال تسود في هذا الحقل بوجه عام روح ذلك التحمس الرومانسي الذي عبر عنه إيران جيمس كافانا (Iren James Cavanah) في كتابه "العصور العربية القديمة في إسبانيا" (Arabian Antiquities of Spain)، و"مغامرات شاتوبريان" (1826م)، وكتاب واشنطن إيرفنغ "الحمراء" (1832م)...". انظر يوهان فوك، المرجع السابق، ص301/ ملاحظة: نظرًا لعدم وجود الصفحة 302 من كتاب يوهان فوك اعتمدنا على نسخة أخرى تختلف في الترجمة عن السابقة وأقل جودة لاستكمال الاقتباس: يوهان فوك- تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن=

مقتطفات من كتابي الفتح بن خاقان "مطمح الأنفس" و"قلائد العقيان"، ثم طبعهما ما بين 1846 و1863م[1].

كما قام خلال نفس السنة بترجمة مخطوط "تاريخ بني زيان في تلمسان"، وزوده بتعليقات، ناشرًا إياه في أحد أعداد المجلة الآسيوية (ماي وجوان 1844م)[2].

بإمكاننا القول: أن هذه الفترة- أوائل الأربعينيات من القرن التاسع عشر- هي الفترة الأولى لبدايات النشاط الاستشراقي لدوزي، وإنتاجه العلمي الأولي في هذا المجال، غير أن توجهاته فيه أو اهتماماته لم تكن معالمها قد اتضحت بعد.

لكن ابتداء من سنة 1844م ستبدأ هذه التوجهات والاهتمامات في التبلور؛ حيث سيأخذ توجهه الاستشراقي اتجاهًا مُعيّنًا، وذلك خلال الزيارة التي قادته مع زوجته إلى مدينة جوتا (Gotha) الألمانية لقضاء شهر العسل، الذي قضاه في مكتباتها، وكانت هذه المدينة تضم مكتبة تزخر بالمخطوطات العربية والشرقية النفيسة؛ فمكث فيها ثمانية أيام، تردد فيها على هذه المكتبة، وفيها اكتشف الجزء الثالث من كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني"، وكان فهرس المكتبة قد

= العشرين- نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم- دار المدار الإسلامي- بيروت- ط2 - 2001م- ص184.

(1) دوزي- المسلمون في الأندلس- ج1 ص12.

(2) نفسه- ص259. ينظر:

Histoire Des Benou Ziyan De Tlemcen, Traduite sur un manuscrit arabe et accompagnée de notes, Journal Asiatique, quatrième séries, Tome III, le journal asiatique, Paris ; mai 1844, pp378-416.

أشار بأنه مجرد مجلد ممزق من كتاب "نفح الطيب" للمقري"[1].

وقد عثر دوزي في هذا الكتاب على معلومات جديدة قيمة حول "السيد القمبيطور" في الروايات العربية؛ فاستأذن في استعارة هذا المخطوط مع غيره من المخطوطات، وزار خلال رحلته هذه ليبتسك؛ حيث تعرف على المستشرق اللغوي فليشر (Fleischer)[2].

وفي السنة الموالية (1845م) قام برحلة أخرى، ولكن هذه المرة إلى إنجلترا[3]، التي كانت آنذاك من الدول الرائدة في الدراسات الشرقية؛ حيث كانت مكتباتها تزخر بالمخطوطات العربية، وعرفت جامعاتها إنشاء كَراس لتدريس اللغات الشرقية منذ وقت مبكر.

وكان سفره إليها من أجل الحصول على نسخ من المواضع التي تهمه من المجلد الثاني من كتاب "الذخيرة" الذي كان موجودًا في مكتبة أُكْسْفورد، وهي شذرات تتعلق ببني عبّاد، كما استغل فرصة وجوده في إنجلترا لنسخ صفحات من مخطوطات عربية أخرى في أكسفورد ولندن[4].

في الوقت ذاته كان دوزي مهتمًا بتاريخه القومي؛ فقام بالاطلاع على بعض المخطوطات الهولندية التي ترجع إلى العصور الوسطى؛ واكتشف كثيرًا منها، وضمنُها قصيدتان طويلتان في مخطوط أكسفورد، كان عنوانهما مجهولًا في هولندا، ليقوم بعد ذلك بنشر نتائج هذه الرحلة في "منشورات اتحاد تشجيع الآداب الهولندية"[5].

---

(1) بدوي- المرجع السابق- ص259.
(2) نفسه- ص259.
(3) نفسه- ص259.
(4) نفسه- صص259-260.
(5) نفسه- صص260-261/ Dugat, Op.cit, p51

وفي أواخر هذه السنة (ديسمبر 1845م) أعلن عن مشروع لتحقيق نصوص عربية؛ فاشترك في اقتناء ما يصدر منه لتغطية نفقات المشروع، إلى جانب ما قدم إلى المشروع من منح؛ فأصدر أول كتاب وهو "شرح تاريخي على قصيدة ابن عبدون، تأليف ابن بدرون"[1]، وهو تحقيق ينشر أولَ مرة لشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون، وقد صدّر نشرتـــه بمقدمـــة ضافية، وزوده بتعليقات وفهرس وصدر في مجلد (1846-1848م) بليدن عند بريل في 128+322 صفحة، ويدور موضوع هذه القصيدة حول سقوط إمارة بني الأفطس ببطليوس[2].

شهدت سنة 1846م تعيينه محافظًا مساعدًا للمخطوطات الشرقية بليدن، وكلف بتصنيف فهرس لها، كما شهدت هذه السنة أيضًا صدور الجزء الأول من كتابه "أخبار بني عبّاد عند الكُتّاب العرب" لدى الناشر بريل، أما الجـزآن الآخـــران من هذا الكتاب، فقد صدر الجزء الثاني سنة 1852م عند الناشر نفسه، وقد صدر الجزء الثالث سنة 1863م، وفيه أكمل وصحّح ما في الجزأين السابقين، ويعتبر الدكتور بدوي هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة أوسع بحث عن بني عبّاد ملوك إشبيلية[3]، ويمدح ديقا كتاب دوزي هذا قائلًا: "إنها دراسة عن سلالة بني عبّاد الإشبيليين، التي لم يُعرف عنها سوى القليل قبل دوزي"[4].

---

(1) Commentaire historique sur le poème d'Ibn-Abdoun par Ibn-Badroun, Leyde, E. J. Brill, 1848, 450p.

(2) نفسه- ص261.

(3) نفسه- ص260.

(4) Dugat, Op.cit, p51.

صدر لدوزي من عام 1847 حتى 1852م كتاب بعنوان "تعليقات على بعض المخطوطات العربية" في 260 صفحة بمطبعة بريل[1]، نشر فيه دوزي فصولًا مستخلصة من كتاب "الحلّة السّيراء" لابن الأبار، وتتعلق بالتاريخ السياسي والأدبي للمسلمين في الأندلس، وتحتوي على تراجم لأشخاص من القرن الثاني حتى السادس الهجريين، تتخلله بعض الأشعار[2].

وفي السنة نفسها (1847م) صدر له "تاريخ الموحدين"[3] لعبدالواحد المراكشي، وقد نشر على حساب اللجنة الإنجليزية لنشر النصوص الشرقية، وطبع بليدن، ويقع الكتاب في 312 صفحة[4].

كما صدر له ما بين عامي 1847 و1848م عدد من المقالات، منها "رسائل عن بعض الكلمات العربية الموجودة في الفصل 624 من التاريخ القطلوني لآن رامون مونتانر (An Ramon Montaner) في المجلة الآسيوية (أغسطس 1847م)[5]، وثلاث مقالات طويلة عن الأدب الإسباني في العصر الوسيط في مجلة ليس (1848م)، ومقالة هي عبارة عن تحليل لمقالة كتبها دفرميري عن "أمراء الأمراء"[6]

(1) Notices sur quelques manuscrits arabes, Leyde, Brill, 1847-1851, in-8o, 260p.

(2) بدوي- المرجع السابق- ص261.

(3) Abd-el-Wahid al Marrakoschi, History of the Almohades, Leyde, Luchtmans, 1847, in-8, XXII et 290p.

(4) بدوي- المرجع السابق- ص261.

(5) Lettres sur quelques mots arabes qui se trouvent dans le CCLXIV^{e} chapitre de la chronique catalane d'En Ramon Muntaner- Journ. Asiat.- août 1847 /Dugat, Op.cit, p53.

(6) Analyse de la notice de M. Defrémery sur les Emirs al Omara (Journ. asiat., novembre-décembre 1848) : Dugat, Op.cit, p53.

فـي المجلة الآسيوية (نوفمبر- ديسمبر 1848م)[1].

وقام في السنة نفسها بإصدار "البيان المغرب"[2] لابن عذاري المراكشي، ويُعد أول تحقيق لهذا المصدر المهم، مع مقدمة وتعليقات وفهرس، في جزأين، حيث تقع مقدمته في 119 صفحة، وفهرس في أربع صفحات، أما النص العربي فيقع في 649 صفحة (ليدن، بريل، 1848-1851م)[3].

في سنة 1849م أصدر كتاب "أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوسيط"[4] في جزء واحد بمطبعة بريل، وقد أصدره في طبعة أخرى سنة 1860م[5]؛ وجاء تأليفه من أجل تصحيح الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها العديد من الباحثين الأوروبيين، الذين كتبوا حول تاريخ المسلمين في الأندلس؛ ويحتوي هذا المؤلف على فصل جيد يتعلق بالسيد القمبيطور، محاولًا الإجابة عن جميع التساؤلات، وحلّ جميع الإشكالات التاريخية والأدبية والنقدية المتعلقة بهذه الشخصية المثيرة للجدل، وكذا المصادر التي استقى منها المؤرخون السابقون عليه[6].

---

(1) بدوي- المرجع السابق- ص 261.

(2) Histoire de l'Afrique et de l'Espagne, intitulée: *Al-Bayan al-Mogrib*, par *Ibn-Adhari* de Maroc, 2 vol. in-8, 119 et 48 pages d'introduction et de glossaire, plus 649 pages de texte. Leyde, Brill, 1848-1851: Dugat, Op.cit, p53.

(3) بدوي- المرجع السابق- ص261.

(4) Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le moyen âge, Leyde, E.J. Brill,1849, 711p.

(5) بيد أن نشرة 1860م التي بين أيدينا تحتوي على 346 صفحة؛ ينظر:
Le Cid d'après de nouveaux documents, E.J. Brill, 1860, 346p.

(6) بدوي- المرجع السابق- ص261/ Dugat, Op.cit, p55

في مستهل سنة 1850م، عُيِّن دوزي أستاذًا لكرسي التاريخ العام من طرف زميله في الحزب الليبرالي توربكه (Thorbecke)، الذي كان أستاذًا للقانون في جامعة ليدن، ثم أصبح وزيرًا للداخلية، وهو ما كان في صالح دوزي؛ حيث إنه لم يكن يتقاضى سوى 800 فلورين سنويًا كأجرة في عمله بقسم المخطوطات، وكانت محاضرته التي ألقاها بمناسبة تعيينه في هذا المنصب بعنوان: "في التأثير المفيد الذي كان للثورات في فرنسا ابتداء من 1789م، على دراسة التاريخ الوسيط" (De l'influence favorable que les révolutions en France, à partir de 1789, ont exercée sur l'étude de l'histoire du moyen âge), وقد نشرت هذه المحاضرة في "حوليات الجامعات"[1].

وقد سبق أن أشرنا إلى أنه كلف بوضع فهرس للمخطوطات الشرقية في مكتبة ليدن، وقد قام بذلك، وجاء هذا الفهرس في جزأين تحت عنوان: "فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة أكاديمية جامعة ليدن"، وكان ذلك سنة 1851م[2]؛ ونعتقد بأن تكليفه بهذه المهمة راجع إلى إلمامه الكبير باللغات الشرقية ومعرفته بها؛ لأن عملية وضع الفهارس تعد من أصعب عمليات التأليف التي تتطلب الوقت والجهد الكبيرين؛ إذ أن واضع الفهرس عليه أن يقوم في بعض الأحيان بالتعريف بالمخطوط، وتقديم شرح واف له، والتعريف بصاحبه، أضف إلى ذلك الترجمة من اللغات التي كتبت بها هذه المخطوطات.

---

(1) نفسه- صص261-262.

(2) نفسه- ص261.

كما قام في السنة نفسها بنشر القسم الأول من مقالاته التاريخية والنقديــة، وأعطــاه عنــوان "ملاحظات على بعض المخطوطات العربية" (Notices sur quelques manuscrites arabes)، الذي يقول عنه مترجم كتاب "المسلمون في الأندلس" إنه "عنوان متواضع أشد التواضع بالنسبة إلى ما احتواه بين دفتيه من علم وتحقيق وبحث واطلاع"[1].

ابتداء من سنة 1851م سيتفرغ دوزي لتأليف أحد أهم مؤلفاته في تاريخ الإسلام في الأندلس، والذي سيستغرق في تأليفه عشر سنوات، وهو كتاب: "تاريخ المسلمين في إسبانيا"، ويغطي الفترة الممتدة من الفتح سنة 92هـ/ 711م إلى غاية سنة 1110م، وأخرجه في أربعة مجلدات (1468 صفحة)، وصدر سنة 1861م بليدن[2].

ونظرًا لأهميته فقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات أوروبية، حيث ترجم إلى الإسبانية مرتين[3] كل منهما بقلم مختلف عن الآخر، كما ترجم إلى الإنجليزية بقلم ستوكس (Stockes) وطبع مرتين، أما في هولندا فتقررت ترجمته في العقد الرابع من القرن العشرين، حينما أرادت الأوساط العلمية كتابة تاريخ إسبانيا؛ فتألفت لجنة عُهِدت رئاستها إلى المستشرق الفرنسي المتخصّص في تاريخ إسبانيا الإسلامية ليفي بروفنسال، وتوصلت اللجنة إلى أن كتاب دوزي هذا يستحق أن يكون

(1) دوزي- المسلمون في الأندلس- ج1 ص12.

(2) بدوي- المرجع السابق- ص261.

(3) صدرت إحداها سنة 1877م؛ ينظر:
Historia de los musulmanes españoles hasta la conquista de Andalucía por los Almoravides (711-1110), Traducida y Anotada por F. De Castro, Sevilla- Biblioteca cientifica-literaria. Moro/ Madrid- Libreria de Victoria Suarez, Jacometrezo, 1877, Tomo IV, 373p.

مرجعًا، ويكاد يكون وحيدًا حول تاريخ إسبانيا في الحقبة الإسلامية؛ فقام ليفي بروفنسال (Lévi Provençal) بإعادة طبعه في هولندا بمكتبة بريل مع تصحيحات طفيفة، مُضيفًا إليه دراسة علمية موجزة عن المرابطين[1].

لم يتوقف دوزي عن كتابة المقالات ونشرها؛ ففي سنة 1852م نشر مقالة بعنوان "حول تاريخ بونيفاس الثامن" بقلم درومان (Drumann)[2].

وفي سنة 1853 كتب دوزي نقدًا لأطروحتي أرنست رينان (Renan Ernest): "ابن رشد والرشدية" و"الفلسفة المشائية عند السريان"، ونشره في الجريدة الآسيوية[3].

كما نشر مقالًا مطولًا سنة 1854م بعنوان "حول وليم أورانج، ملاحم من القرنين الحادي عشر والثاني عشر"[4].

وأصدر سنة 1860م نقدًا لنشرة وترجمة فرنسية لرحلة ابن بطوطة من طرف دوفرمري وسانجينتي (Defremery et Sanguinetti)، ونشر هذا البحث في العدد 25 من "حوليات جيتنجن"، فبراير 1860م[5].

---

(1) دوزي- المسلمون في الأندلس- ج1 ص13.

(2) Sur l'histoire de Boniface VIII, par Drumann, dans L'athenaeum Français du 25 décembre 1852 : Dugat, Op.cit, p56.

(3) Sur la thèse de M.E.Renan: de philosophia peripatetica apud Syros, commentatio historica; et sur L'Averroès et L'Averroïsme du même savant, deux articles, journal Asiatique, Juillet 1853. Dugat, Op.cit, p56.

(4) Sur Guillaume d'Orange, chansons de geste des XI^{e} et XII^{e} siècles, publiées pour la première fois par M. Jonckbloet dans le Gids, 1854/Dugat, Op.cit, p56.

(5) بدوي- المرجع السابق- ص263.

ولما أصدر خافيير سيمونيت (Simonet)[1] كتابه الموسوم بـ"وصف مملكة غرناطة تحت حكم بني نصر، استنادًا إلى المؤلفين العرب، مع نشر نص لابن الخطيب"، كتب دوزي مقالًا مهمًا نشره في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية (ZDMG) سنة 1862م، صحّح فيه نص رسالة ابن الخطيب، وقد أيد معظم المقترحات التي قدمها لتصحيح عدة مواضع من نص مخطوطين آخرين، راجعهما مُلَّر (M.J.Muller)[2]، ونشر مراجعته في كتابه بيتراق (Beitrage)[3].

وفي عام 1863 شارك في كتاب جماعي عن تاريخ الأديان الكبرى بطلب من الناشر الهولندي كروسمان (Kruseman)، الذي كلفه بكتابة الفصل الخاص بتاريخ الإسلام، وجاء الفصل بعنوان "تاريخ الإسلام"،

---

(1) خافيير سيمونيت (1829-1897م)، مستشرق إسباني، تخصص في تاريخ غرناطة وتاريخ المستعربين، تعلم العربية على يدي استيبانيث كالدرون، وأتقنها سنة 1851م، نال عضوية في أكاديمية التاريخ سنة 1862م، وتواصل أيضًا مع دوزي حول موضوعات في اللغة العربية، والجغرافيا العربية، من آثاره: "تأثير العنصر الوطني المحلي في الحضارة العربية الإسبانية" (في مجلة مدينة الله)، كتاب "تاريخ المستعربين" (Historia de los Mozarabes) إضافة إلى أعمال أخرى. انظر العقيقي- المرجع السابق- ج2 ص185/ بدوي- المرجع السابق- ص360-365.

(2) مُلَّر ماركوس يوسف (1809-1874): مستشرق ألماني، صنّف فهرس المخطوطات العربية بميونيخ، قام برحلة إلى إسبانيا اطلع فيها على مخطوطات مكتبة الإسكوريال، وعاد بنسخ مخطوطات وتعليقات ومقتطفات كثيرة، من آثاره: "أبحاث في تاريخ العرب في إسبانيا"، "الأزمنة الأخيرة لغرناطة"، "الفلسفة والكلام عند ابن رشد". انظر بدوي- المرجع السابق- صص566-567.

(3) بدوي- المرجع السابق- ص262.

تنـاول فيـه تاريخ الإسلام من بداياته؛ أي منذ عهد الرسول ﷺ حتى سنة 1863م، وهي السنة التي كتب فيها هذا الفصل، غير أن هذا الكتاب كان بسيطًا موجهًا لعامة القراء[1].

وفي السنة الموالية (1864م) ألف كتابًا آخر بعنوان "اليهود في مكة"[2]، وقد لقي هذا الكتاب تمجيدًا في هولندا، بعكس ألمانيا التي واجه فيها حملة مريرة من طرف اليهود[3]، ويرجع هذا إلى كون يهود ألمانيا يعتبرون أهم جماعة بشرية دينيًا وفكريًا وماليًا في أوروبا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والتي أخذ أفرادها يعتنقون الأفكار الأصولية، وأصبحوا من المُتحمِّسين للفكر القومي الداعي إلى إنشاء وطن قومي لليهود، بخاصة وأن ألمانيا خلال هذه الفترة كانت تسير في طريقها نحو الوحدة التي تحققت في حدود عام 1871م.

وما يدعم رأينا هو أن ثلاثة من أهم مستشاري بسمارك كانوا من اليهود[4]، ومن هنا نستنتج أن اليهود الألمان كانوا من الجماعات

---

(1) نفسه- صص262-263.

(2) Die Israeliten zu Mekka von Davids Zeit bis in's fünfte Jahr hundert unsrer Zeitrechnung: ein Beitrag zur alttestament lichen Kritik und zur Erforschung des Ursprungs des Islams, Leipzig: Engelman, 1864, 200p.

والترجمة الكاملة للعنوان على النحو التالي: "بنو إسرائيل في مكة من زمن داود (عليه السلام) إلى القرن الخامس الميلادي: مساهمة في نقد العهد القديم والبحث في أصل الإسلام".

(3) بدوي- المرجع السابق- ص263.

(4) ستار جبار الجابري- الدور السياسي لليهود في ألمانيا- **مجلة كلية التربية الأساسية**-جامعة بابل- حزيران 2014م-العدد 16- ص235.

النافذة في المجتمع الألماني التي كان من حقها التنديد والمعارضة.

وشهدت سنة 1866م ميلاد عملين لدوزي: الأول هو نقد لكتاب الألماني مُلَّر "إسهامات في تاريخ العرب المغاربة"[1]، أما العمل الثاني فكان بالاشتراك مع تلميذه المستشـرق مخائيل يان دي خويه (دِخُويَه) (Michael Jan de Goeje)[2]، وهو ترجمة لجغرافية الإدريسي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" مع تعليقات ومعجم[3]، الذي كان قد بدأه قبل سنة 1864م، ثم أتمه بالتعاون مع تلميذه المذكور، الذي كان ملما باللسانين اليوناني واللاتيني، وقد اشتهر في نشر أمهات كتب الجغرافيا العربية، وأخرجها ضمن ما سمي بالمكتبة الجغرافية العربية[4].

في سنة 1867م أصدر دراسة لغوية معجمية تتمثل في "ثبت شارح للكلمات الهولندية المأخوذة من العربية والعبرية والكلدانية والفارسية والتركية"[5].

---

(1) Marc Joseph Müller, Beiträge zur Geschichte der west lichen Araber, G. Franz, 1866, Volumes 1-2.

(2) مستشرق هولندي من مواليد سنة 1836م، دخل جامعة ليدن في 1854 حيـث تخصص فـي الدراسات الشرقية على أيدي دوزي ويونبول (Th. W.J. Juynboll)، وحصل على الدكتوراه في 1860 برسالة عنوانها «نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي»، وكان اهتمامه منصبًا على الجغرافيا والتاريخ العربيين الإسلاميين. انظر بدوي- المرجع السابق- صص230- 237.

(3) بدوي- المرجع السابق- ص263.

(4) دوزي- المسلمون في الأندلس- ج1 ص11.

(5) ذكر مترجم كتاب دوزي "المسلمون في الأندلس" أن عنوان هذا الكتاب هو "المشرقيات" (Oostellingen) (العنوان كاملا: Oosterlingen. Verklaren delijst der Nederlandschewooden, die uithet Arabisch, =

في سنة 1869م، أصدر دوزي نقد ترجمة البارون دو سلان (Le Baron de Slane) لمقدمة ابن خلدون في ثمانين صفحة في المجلة الآسيوية[1].

وكانت هذه السنة هي السنة التي ودع فيها وظيفته أستاذًا للدراسات الشرقية والتاريخ، وقد قارب الخمسين من العمر، إلا أن نشاطه العلمي لم يتوقف؛ فإضافة إلى نشره نقدًا لترجمة البارون دو سلان لمقدمة ابن خلدون المذكورة سابقا، قام بإصدار طبعة منقحة مزيدة من كتاب أنجلمان عن الكلمات الإسبانية والبرتغالية المستمدة من اللغة العربية، مع إضافات جديدة جمّة كانت في مجموعها وفي حد ذاتها هي الأخرى كتابًا مستقلًا لقي إجلالًا وتعظيمًا من طرف الأوساط العلمية في هولندا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا وغيرها من البلاد[2].

نشر في السنة نفسها (1869م) "معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المأخوذة من اللغة العربية"[3]، ونشر بليدن عند بريل في 424 صفحة[4].

= Hebreeuwsch, Chaldeeuwsch, Perzisch en Turksch afkomstigzijn, (Publisher: 's-Gravenhage, M. Nijhoff, 1867, 102p.) الذي بين فيه بجلاء أصول بعض الكلمات الهولندية –وهي كثيرة– وهذه الأصول ما بين عربية وعبرية وفارسية وغيرها من اللغات الشرقية، فدل ذلك على إلمامه الواسع بهذه اللغات، وقد دفعه ذلك بأن يعيد النظر في كتاب أنجلمان الهولندي، وأضاف إليه ما اعتبر وحده كتابًا مستقلًا، حتى إن الأكاديمية الفرنسية للآثار والآداب منحته جائزة فولني في يوليو 1869م. دوزي– تاريخ مسلمي إسبانيا– ج1 ص12.

(1) بدوي– المرجع السابق– ص263.

(2) دوزي– المسلمون في الأندلس– ج1 ص14.

(3) Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe par le Dr. W.H Engelmann, Leyde, E.j. Brill, 1861,153p.

(4) بدوي– المرجع السابق– ص263.

وتعد هذه الدراسات من النوع الذي يندرج في الصناعة المعجمية، وهو علم يختص بأصول الكلمات (إتيمولوجيا- التأثيل)[1]، وقد حاول دوزي بهذه المعاجم البحث عن اشتقاق بعض الكلمات في اللغات الهولندية ثم الإسبانية والبرتغالية من اللغات الشرقية، وعلى رأسها العربية، وهذا طبعًا نظرًا للحضور العربي الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا مدة ثمانية قرون، وقد يتساءل القارئ: كيف للغات السامية خصوصًا والشرقية عمومًا أن تنتقل إلى بلد جرماني يقع في شمال أوروبا كهولندا؟ ونرى من جهتنا أن هولندا عرفت الشرق والعرب أيام الحروب الصليبية، كما عرفت حضورًا يهوديًا قادمًا من شبه جزيرة إيبيريا؛ حيث إن كثيرًا من اليهود الإيبيريين (إسبانا وبرتغاليين) لجؤوا إلى هولندا، وكانوا على صلة وثيقة بالفكر الإسلامي الذي ورثوه عن آبائهم، ومنهم ينحدر الفيلسوف باروخ سبينوزا أشهر علماء وفلاسفة عصر الأنوار، وكانوا يستخدمون العبرية في صلواتهم وطقوسهم، ويمكن أيضًا أن يكون دخول المصطلحات العربية إلى اللغة الهولندية قد تمّ عن طريق الجنود الإسبان الذين كان من بينهم عدد من الأندلسيين الموريسكيين خلال فترة السيطرة الإسبانية على الأراضي المنخفضة؛ فضلًا عن المصنفات العلمية العربية التي وصلت إلى هولندا، وأثرت في اللغة

(1) من الفعل أثل، وأثلة كل شيء: أصله، والتأثيل هو التأصيل؛ أي: أصّل الشيء، ويعرف معجم Le petit Robert التأثيل بأنه علم تناسل المفردات وتوالدها، وإعادة تكوين أصل الكلمة بالرجوع من حالتها الآنية إلى أقدم حالة ممكنة كانت عليها، ويقوم هذا العلم على القوانين الصوتية والدلالية، فهو إذا "علم أصول الألفاظ". أحمد عزوز- وظيفة التأثيل في الصناعة المعجمية- **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**- ديسمبر 2011م- مج86- العدد 4- ص959.

والثقافة، إضافة إلى التأثيرات الدينية المسيحية التي نتجت عن ترجمة الكتاب المقدس وتفسيره، لاسيما بعد نجاح حركة الإصلاح الديني في بعض بلدان وسط أوروبا وشمالها.

أما بالنسبة للمفردات التركية فنعتقد بأن طريق دخولها كان بواسطة العلاقات التجارية مع الدولة العثمانية، حيث كان التجار الهولنديون من وراء دخولها.

غير أن أشهـــر معجـــم ألفـــه دوزي هو "تكملة المعاجم العربية" (Supplément aux dictionnaires Arabes) في جُزأين[1]، الذي صدر سنة 1881م في ليدن[2]، ويُعدّ هذا الكتاب من أواخر ما ألفه، إلا أننا فضلنا أن يكون حديثنا عنه هنا مع بقية المعاجم التي ألفها.

ونظرًا لما قام به رينهارت دوزي في مجال الدراسات الشرقية والعربية، وما قدمه من آثار فكرية، قامت عدة حكومات ومجالس علمية وأكاديمية بتكريمه باختياره عضوًا فيها، على غرار إسبانيا التي عيّنته عضوًا مراسلًا لأكاديمية التاريخ بمدريد، وبلجيكا التي اختارته عضوًا في أكاديمية العلوم ببروكسل، وروسيا التي اختارته عضوًا مراسلًا لأكاديمية العلوم في سنت بطرسبرغ[3].

ثـــم توالت هذه العضويات في السنوات الأخيرة من حياته؛ ففي عام 1879م أصبح عضوًا في الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية، وفي سنة 1880م اختير عضوًا مراسلًا في أكاديمية روما المعروفة في الأوساط العلمية باسم Academia dei Lincei، وبعدها قامت إسبانيا باختياره

(1) بدوي- المرجع السابق- ص263.
(2) رينهارت دوزي- تكملة المعاجم العربية- ص8.
(3) دوزي- المسلمون في الأندلس- ج1 ص15.

أستاذ شرف في المعهد الحر للتعليم (Istitucion libre de Ensenanza)[1].

أما العالم العربي فإنه عرف دوزي عن طريق مؤلفاته التي خلفها وترجم بعضها إلى اللغة العربية، وعلى رأسها كتاب "المسلمون في الأندلس"، و"تكملة المعاجم العربية"؛ فقد بُعث دوزي من جديد بدراساته وأبحاثه التي تضمنت أفكاره وآراءه التي أثارت النقاش وأسالت كثيرًا من الحبر. إنه يستحق بجدارة لقب شيخ المستشرقين الأوروبيين، فضلًا عن كونه مستشرقًا كتب بعدة لغات أوروبية، كما كان من السباقين من غير الإسبان إلى الاهتمام بتاريخ الأندلس، وهذا نموذج قلما نجد له نظيرًا.

ومن الأمور المهمة التي يجب أن نذكرها في هذا المقام، والتي تُبِينُ عن تأثره العميق باللغة العربية، وتجعله في مصاف المستعربين الكبار، أنه كان يوقع اسمه بالعربية على النحو التالي: "ريخرت دوزي"[2]، وهذا إن دلّ على شيء آخر؛ فهو يدل على حبّه ووفائه لهذه اللغة، التي قضى عمره وهو يغوص في أعماقها بحثًا عن كنوزها.

5- وفاة دوزي: لم يتوقف دوزي عن الكتابة والتأليف حتى شاءت الأقدار أن يرحل عن هذه الدنيا يوم 29 أبريل (نيسان) 1883م بليدن، وقد بلغ الثالثة والستين من العمر، وكانت وفاته قبل انعقاد مؤتمر المستشرقين الدولي بلندن، الذي كان من المقرر أن يترأسه، لكن الموت كان أسبق إليه، ومع ذلك أُلقي البحث الذي أعده للمؤتمر أمام كبار المستشرقين والعلماء، وقد ظل صوته حاضرًا في المجامع والتظاهرات العلمية حيًّا وميتًا[3].

---

(1) نفسه- ص15.

(2) العقيقي- المرجع السابق- ج2 ص309.

(3) دوزي- المسلمون في الأندلس-ج1- صص15-16/ بدوي- المرجع السابق- ص263.

عرض موضوعي لمؤلّفات المستشرق الهولندي الكبير رينهارت دوزي وأهم أطروحاته المتميزة:

يُشهد لدوزي المؤرّخ المتخصّص في كتابة تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الوسيط بقصب السّبق، لغزارة إنتاجه الذي بلغ 39 مؤلفا ما بين دراسات وبحوث نشرها في شكل مقالات وكتب، حسب ما ذكره المستشرق الفرنسي جوستاف دوجا[1]، وقد اشتهرت أعماله واحتلّت مكانة مرموقة بين الباحثين والدّارسين في هذا الحقل، وفيما يلي عرض موضوعي لأهمّ أعماله:

أولًا: المعاجم والقواميس: ألف دوزي إبّان مشواره العلمي – الذي أخذ من عمره ما يربو عن الأربعين سنة– في المجال اللغوي؛ فأصدر عددًا من الدراسات المختصّة في المعاجم العربية، ومن ذلك:

1- **"المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب"**[2]: يقع في 446 صفحة، وطُبع في أمستردام سنة 1845م[3].

يندرج تأليف دوزي لهذا الكتاب[4] في إطار ما يعرف بفقه اللغة والمعاجم والقواميس اللغوية، والموضوع في أصله يتعلّق بالأخلاق

(1) Gustave Dugat, Histoire des orientalistes de l'Europe du XII^{e} au XIX^{e} siècle, Paris, Maisonneuve et Cie, 1870, T2, pp49-63.

(2) R. Dozy- Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes- ouvrage couronné et publié par la troisième classe de l'Institut Royal des Pays-Bas- Amsterdam- 1845.

(3) Gustave Dugat, op, cit,T2, P.49-50.

(4) ترجمه الدكتور أكرم فاضل، ونشرته الدار العربية للموسوعات ببيروت، في طبعته الأولى بتاريخ 1433هـ/ 2012م، وهو يقع في 403 صفحة.

والعادات عند العرب، وجاءت الاستجابة فيه لبرنامج المعهد الملكي بهولندة الذي طلب شرح الكلمات التي تتعلّق بذلك[1]، وقبل الخوض في غمار موضوع مؤلّفه هذا تطرّق دوزي إلى مدخل قدّم فيه نظرة شاملة عن ملابس العرب، استعرض فيه التطور التاريخي لفن الخياطة عندهم، ورأى بأنّه مرتبط بالانتقال من حياة البداوة وبساطة العيش إلى المدنية والتحضّر، وما صاحبها من ترف العيش بالاستقرار في المدن والاختلاط بساكنة البلاد المفتوحة، حيث انتقل العرب من الشملات البسيطة المنسوجة قطعة واحدة إلى لبس ثياب أشدّ أناقة، وأنشؤوا لهذا الغرض مصانع في بغداد والأندلس.

وبيّن دوزي اختلاف الأزياء باختلاف المناطق التابعة لدولة الإسلام في حدودها الشّاسعة من الهند إلى حدود غالة (فرنسا)، كما بيّن أيضا اختلاف الأزياء بين مختلف الطبقات التي يتألّف منها المجتمع الإسلامي في المدن، وتطرّق للملابس من وجهة نظر الشّرع، وقارن بين رأي الأحناف والمالكية بعرضه نصوصًا خاصّة بالأزياء فيما يتعلّق بحلّها من حرمتها، وأشار أيضًا إلى ما يُستحبّ من الألوان وما يُكره، مُنتهيًا عند لباس التشريف (الخلعة)[2].

وجعل المؤلف من مُعْجَمه قاموسًا لمختلف المفاهيم والمعاني لكلّ كلمة في الجزيرة العربية وفارس وسوريا وإفريقية، وجميع الأقطار التي

(1) Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, PP. 5-7.

(2) رينهارت دوزي- المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب- ترجمة أكرم فاضل- الدار العربية للموسوعات- بيروت- ط1- 1433هـ/ 2012م- كلمة المترجم- صص13-30.

كانت تحت لواء الدولة الإسلامية، معتمدًا على المصادر في تحديد تاريخ كلّ كلمة، ومعناها الخاص في قطر معيّن من معانيها في قطر آخر، ومعناها لدى الشعراء من معناها لدى كتّاب النثر.

وممّا يلاحظ على هذا المعجم أنّ صاحبه استعمل فيه عددًا من اللغات بلغ نحو عشرين لغة بين غربية وشرقية كالآرامية والسريانية والعبرانية والقبطية والحبشية وغيرها، وقديمة مكتوبة بلغة أقدم كاللاتينية واليونانية وحديثة كالفرنسية، والهولندية، والألمانية، والإسبانية.

وقد وظّف 280 لفظًا من ملابس العرب، واستهلّها بالتعريف بـ"الإِتْبِ" و"المِئْتَبَة"، وكان آخر ما ذكره منها "اليلكُ" وهي كلمة تركية، ثم تطرّق إلى كلمات موجودة لدى مؤلّفين أوروبيين، قال باحتمالية عدم وجودها في المعاجم، ولم يهتد إلى كيفية كتابتها باللغة العربية، وعدد هذه الكلمات أربع وهي: كوفيل (Koufil)- لارتيا (Lartia)- موقانس (Mugannes)- ويخت (Wischt).[1]

مع العلم أنّ الكتاب ليس كلّه ملابس، بل فيه تاريخ وأدب وفولكلور[2]، وبالنظر إلى عنوان المعجم كان يُفترض أن يتناول الأزياء في الأقطار العربية جميعها شرقيها وغربيها، إلاّ أنّها في واقع الأمر تخصّ أكثر ما تخصّ الأندلس والدول المغاربية ومصر.

(1) رينهارت دوزي- المعجم المفصّل- ص30- ص382- ص385-386.
(2) المرجع نفسه- صص5-6.

2- **ثبت شرح فيه الكلمات الهولندية المشتقة من اللغات العربية والعبرية والكلدية والفارسية والتركية[1]، وطبع سنة 1867م.**

3- **معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية من أصل عربي:** أنجزه بمساعدة السيّد ولهلم إنجلمان[2]، وصدر في ليدن سنة 1869 في 424 صفحة.

ذكر المؤلف في كتابه الكلمات الإسبانية والبرتغالية التي اشتقت من اللغة العربية بحكم بقاء المسلمين في الأندلس مدة أزيد من ثمانية قرون، كانت اللغة العربية فيها لغة العلم والتخاطب بين سكانها المسلمين وغير المسلمين.

4- **تكملة المعاجم العربية[3]**: مُعجم وضعه دوزي في مجلّدين من الحجم الكبير، ويقع في 1738 صفحة[4].

إنّ مصنّف المستشرق دوزي "تكملة المعاجم العربية" في واقع الأمر ما هو إلاّ تلك التعليقات اللغوية التي رتّبها ونسّقها وقام بنشرها، واعترف بأنّه نقل إلى معجمه من كلام العامّة ما وجده في المصادر التي اعتمد عليها من دون الإشارة إلى أنّها من العامّية، ومنها معجم محيط المحيط للبستاني الذي يحتوي على اللهجة السورية، كما قام بإقحام وإثبات كثير من لغة العامّة الإسبانية في مصنّفه[5].

---

(1) R. Dozy- Liste explicative des mots néerlandais dérivés de l'Arabe, de l'hébreu, du chaldéen, du persan, et du turc- 1867.

(2) R. Dozy, W.H. Engelmann- Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe- Leide- 1869- 424p.

(3) R. Dozy- Suppliment aux Dictionnaires Arabes- Leide- 1877- 1881- 1738p.

(4) R.Dozy, Supplément aux dictionnaires Arabes, 2ème édition, Leide, E.J. BRILL- Paris, Maisonneuve frères, 1927, T1, P.5.

(5) R.Dozy, Supplément…, op, cit, P.8-11.

إنّ من يقرأ معجم التكملة لدوزي يدرك بأنّه يحتوي بداخله على عدّة معاجم، وأنّه بالإمكان تفريغ معجم بالمصطلحات الطبية وأسماء الأعشاب والنباتات منه يكون أوسع وأدقّ وأشمل من أيّ كتاب آخر في الطب العربي، وينطبق هذا على المصطلحات الأخرى الإدارية والسياسية والاجتماعية والموسيقية وغيرها، ويبقى هذا المعجم- بالرّغم من نقائصه- منبعًا ثريًّا من مئات الكلمات التي دخلت اللغة العربية، ولم نعلم لولاه كيف دخلت أو أنّه قد يسّرها لنا في أقلّ تقدير[1]، ومجمل القول إنّ تكملة المعاجم العربية لدوزي يعدّ مرجعًا سهل التناول، فتح به الباب على مصراعيه لتصنيف معاجم عربية على شاكلته.

تُرجم هذا الكتاب إلى العربية ترجمات مختلفة أشهرها وأيسرها "تكملة المعاجم العربية"، الذي أطلقته مكتبة لبنان اسمًا لطبعة الأوفسيت التي نشرتها سنة 1969م.

وقد قام الدكتور محمد سليم النعيمي بنقل هذا العمل إلى العربية والتعليق عليه، واقتضت عملية التعريب والتعليق على مصطلحاته تجزئته إلى أجزاء؛ فأصدر الجزء الأول منه الذي قامت بنشره دار الرشيد للنشر ببغداد تحت إشراف وزارة الثقافة والإعلام للجمهورية العراقية سنة 1980، ويحتوي على 511 صفحة، وضع في أوّله بعد مقدّمته (المترجم) ومقدّمة مؤلّفه (دوزي) فهرست المؤلّفين تفسير الرموز، وأعقبه بفهرست

(1) رينهارت دوزي- تكملة المعاجم العربية- ترجمة محمد سليم النعيمي- مراجعة جمال أيوب صبري الخيّاط- دار الثقافة والإعلام- دار الشؤون الثقافية العامّة- بغداد- ط1- 1997- توطئة-ج8- ص4.

كتب الرحلات التي لم يجد فيها ما يفيد المعجم، وتلا ذلك فهرست الكلمات العربية في معجم بيدرو دي ألكالا (Pedro de ALCALA)، وانتقل بعدها إلى صلب موضوعه، الذي اقتصر على باب الهمزة الذي بدأه بكلمة "أثوا"، ووصله بباب الباء وما ينطق بحرف P، وينتهي به عند كلمة "بَيْه" وهي كلمة تركية.

وواصل عمله بالنسق نفسه من الجزء الثاني إلى الجزء الخامس، وتطرق فيها إلى الحروف من "التّاء" إلى الزّاي، وصدرت له هذه الأجزاء في نفس الدار ما بين سنة 1980 و1982، ثم شرع جمال أيّوب الخيّاط بمراجعة الأجزاء من السادس إلى الثامن بعد وفاة المغفور له محمد سليم النعيمي؛ فجمع ما كتبه المرحوم من حرف "س" إلى حرف "ق"، وراجعه قبل أن يخرجه إلى النور ما بين سنوات 1988 و1997، أمّا الجزآن التاسع والعاشر فكانا عملين خالصين لجمال الخيّاط الذي نقل فيهما الألفاظ من حرف "ك" إلى حرف "ن" إلى العربية وعلّق عليها، وكانت طباعة هذين الجزأين من لدن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، في طبعتها الأولى سنتي 1999 و2000.

ثانيًا: الترجمة والتحقيق: يعدّ الباحث الهولندي رينهارت دوزي أحد أهمّ أقطاب المدرسة الاستشراقية الذين اهتمّوا بالبحث والتنقيب والكشف عن كنوز الشرق ودرر التراث الإسلامي، والذين كان لهم فضل السّبق في انتشال كثير من المخطوطات العربية الدفينة، ونفض الغبار عنها، قبل أن تأكلها الأرضة وتصبح في حكم المفقود، وحفظوها لنا من الضياع بتصويرها، وإعادة كتابتها ومحاولة قراءتها قراءة صحيحة، واجتهدوا في تحقيقها شرحًا

وتعليقًا وفهرسة، وصولًا إلى مرحلة الطّبع بإخراجها في حلّة جديدة، ونشرها للجمهور العريض من القرّاء والمثقّفين، وكان ذلك بمنزلة حياة جديدة لها.

كان معظم ما حقّقه رينهارت دوزي باللغة الفرنسية (ترجمة وتعليقا) مع إثبات النص العربي، وفي هذا الإطار تندرج أعماله التالية:

1- **"تاريخ بني زيان ملوك تلمسان"**: ترجم دوزي مخطوطه، وزوّده بحواشٍ وتعليقات، ونشره في المجلة الآسيوية، السلسلة الرابعة- المجلد الثالث، ماي- جوان 1844م[1]، وما نشره هو القسم الثاني من كتاب "روضة النسريـن في دولة بني مرين" لمؤلفه أبي الوليد إسماعيل ابن يوسف بن محمد بن الأمير أبي سعد فرج أمير مالقة بن يوسف الخزرجي الأنصاري المدعو بالأحمر، وهو الجدّ الأعلى لأسرة بني الأحمر ملوك غرناطة، نزيل فاس والمتوفى بها سنة 807هـ/ 1405م[2].

ينقسم الكتاب إلى قسمين، يتناول المؤلف في القسم الأول منه تاريخ دولة بني مرين؛ فيتحدث عن نسبهم وأصولهم وشعوب زناتة وأفخاذ بني مرين، ثم يذكر أمراءهم الواحد بعد الآخر باختصار شديد، وينتهي هذا الفصل بالحديث عن دولة عثمان بن أحمد بن أبي سالم المريني الذي تولى الحكم سنة 800هـ/ 1397م.

---

(1) Reinhart Dozy- Histoire des Benou-Zian de Tlemcen- Traduite sur un manuscrit arabe et accompagnée de notes- Journal Asiatique- Imprimerie Royale- Paris- 1884- Quatième Série- Tome III- pp378-416.

(2) أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر- النفحة النسرينية واللمحة المرينية- تحقيق عدنان محمد آل طعمة- دار سعد الدين- دمشق- 1992م- ص7.

أما الفصل الثاني فيتناول فيه الدولة الزيانية العبد الوادية؛ فيبدأ بذكر إمارة يغمراسن بن زيان عام 631هـ/ 1233م، وينتهي بذكر الأمير محمد بن أبي حمّو الذي تولى حكم تلمسان سنة 804هـ/ 1401م[1].

يعدّ هذا الكتاب سجلًّا تضمّن أسماء ملوك بني مرين وبني عبد الوادي، وكناهم وألقابهم وأنسابهم وتواريخ ميلادهم وولايتهم ووفاتهم، والمُدد التي قضوها في الملك مع بيان أوصافهم الخَلقية والخُلقية، وذكر رجال دولهم من وزراء وحُجّاب وقضاة وكُتّاب، وما خلفوه من بنين وبنات، كما يتضمّن معلومات مهمة عن الصراع العنيف الذي نشأ بعد انهيار دولة الموحدين بين الأسرتين الزناتيتين الكبيرتين بني مرين ملوك فاس وبني زيان ملوك تلمسان، وهو الصراع الذي استمرّ طيلة ثلاثة قرون، وكان من نتائجه تبدّد قوى المغرب، واكتساح النصارى للبقية الباقية من دولة الإسلام بالأندلس بعد فقدانها للسند الطبيعي لها[2].

2- **"شرح تاريخي على قصيدة ابن عبدون تأليف ابن بدرون"**[3]، وتسمى القصيدة البسّامة، وقد رثى بها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابري (ت 529هـ/ 1134م) في أبيات تُعدّ من أجلّ المراثي الأندلسية وأروعها، المتوكلَ بن الأفطس- أحد ملوك الطوائف- وولديه الفضل والعباس عقب استيلاء المرابطين على عاصمتهم بطليـوس؛ حيث

(1) نفسه- ص12/ إسماعيل ابن الأحمر- روضة النسرين في دولة بني مرين- تحقيق عبدالوهاب ابن منصور- المطبعة الملكية- الرباط-ط2-1411هـ/ 1991م.

(2) نفسه- ص9.

(3) R. Dozy- Commentaire historique sur le poème d'Ibn-Abdoun par Ibn-Badroun- Brill- Leide- 1846-128+ 322p.

اعتقلوهم وقتلوهم في الطريق نحو إشبيلية سنة 488هـ/ 1095م[1]، وقد شرحها عبد الملك بن عبد الله المعروف بابن بدرون الشلبي- من أدباء القرن الثامن الهجري- شرحًا تاريخيًا[2].

قام دوزي بشرحها تاريخيًا مع مقدّمة وبتعليقات ضافية وفهرس، ونشرها في مجلد بليدن سنة 1846[3].

3- **"تعليقات على بعض المخطوطات العربية"**[4]: طبع بليدن بين سنتي 1847-1851، ويقع في 260 صفحة، وقد استلّ دوزي فيه فصولًا من كتاب الحلّة السِّيَراء لابن الأبّار، تتعلّق بتاريخ المسلمين السياسي والأدبي في الأندلس، وهو يضمّ بين دفتيه تراجم أعلام من القرن الأول إلى القرن السابع الهجريين، مع مقدّمة قصيرة عن ابن الأبّار[5]، وكان

(1) محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثاني: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط4 - 1417هـ/ 1997م-ص369.

(2) ابن سعيد المغربي- المغرب في حلى المغرب- حققه وعلق عليه شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ط5- 2018- ج1 صص374-376.

(3) الزركلي- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- 2002- ط15- ج3- ص 39/ نجيب العقيقي- المستشرقون- دار المعارف- القاهرة- 2006- ط5- ج2- ص309/ دوزي- تكملة المعاجم العربية- المرجع السابق- ج1- ص6/ رينهارت دوزي- المسلمون في الأندلس- الجزء الأول- المسيحيون والمولدون- ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي- مقدمة الترجمة العربية- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1415هـ/ 1994- ص9.

(4) R. Dozy- Notices sur quelques manuscrits arabes- Brill- Leide- 1847-1851-260p.

(5) Osama Shaban Abd el-Rasol- Analisis de los estudios arabes en Espana en el siglo XIX: Dozy y concecuencias- Tesis doctoral- Universidad Complutense de Madrid- 2013- p364.

المؤلف أول من نشر قسماً من الحلّة السيراء، بالإضافة إلى ما نشره منها في جامع الكتابات عن بني عبّاد منبّهًا أهل العلم إلى قيمة ابن الأبّار وأهمّية ما كتبه، كما نشر بضع تراجم أندلسية من الحلّة ذيولًا على بعض أبحاثه في كتابه المعروف بـ"أبحاث حول التاريخ السياسي والأدبي لأسبانيا خلال العصر الوسيط"[1]، ونشره سنة 1881 بليدن- باريس[2].

وقد صنف ابن الأبّار "الحلّة السيراء" تمجيدًا لشاعرية السلطان أبي زكريا الحفصي وولي عهده أبي يحي، وترجم فيه لمن عُرف بقرض الشعر من رجالات المغرب والأندلس، ورتبه على القرون، وذيّله بملحق للنّابهين الذين لم يعثر على أشعارهم، وبلغ عدد الذين ترجمهم 216 فردًا[3]، ولعلّه أتمّه قبل وفاة أبي زكرياء، أو بعد ذلك بمدة قصيرة في أثناء إقامته الثانية في مدينة بجاية.

4- **"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"**: لأبي العباس المقري (ت 1041هـ/ 1631م)، وصدر بعنوان "مختارات حول تاريخ وآداب العرب في إسبانيا"[4]، حقق فيه الجزأين الأول والثاني منه، وهما نصف

(1) Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le moyen âge- Paris, Lyde, 3ème éd, 1881, Vol I.

(2) انظر ابن الأبّار-الحلّة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1985- ج1- صص8-9.

(3) المنوني محمد- المصادر العربية لتاريخ المغرب- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- 1404هـ/ 1983م- ج1- ص58/ بوباية عبد القادر- المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس- كوكب العلوم للنشر والتوزيع- الجزائر- ط1- 1432هـ/ 2011م- ص133.

(4) R. Dozy, M.M.Wright, Krehl- Analectes sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne- Brill- Liede- 1858-1860.

الكتاب بمعاونة دوجا وكريل رايت، وطبعا في ليدن بين سنتي 1858–1860، وقد صدر بمقدمة فرنسية ضافية في ترجمة المؤلّف وقيمة كتابه، ومع الجزء الثاني فهرس فيه أسماء الرجال والكتب وملحوظات[1].

ونظرًا لقيمته العلمية التي لم تسقط بعد مرور أزيد من مئة عام أو أكثر فقد تولاّه الدكتور إحسان عبّاس بالتحقيق العلمي، معتبرًا أنّه لم ينل من عناية المحققين ما ينبغي له، وهو يعترف بأنّ "خير طبعة ظهرت منه هي تلك التـي تولاها بالعناية كل من دوزي ودوجا وكريل رايت (ليدن: 1855)، فقد اعتمد هؤلاء على النسخ الخطية التي توفرت لهم في باريس ولندن وأكسفورد وغوطة وبرلين وكوبنهاجن وبترسبورغ، ونشروا الكتاب في قسمين يحتوي كل قسم على جزأين، وألحقوا بذلك جزءًا صغيرًا يضم الفهارس والتصويبات.

ومع أن هذه الطبعة لم تشمل إلا القسم الأول من النفح؛ فليس ذلك مما يحول بيننا وبين كلمة إنصاف لهؤلاء المحققين، ذلك أنهم توخوا الدقة في مقارنة المخطوطات، واجتهدوا في مراجعة نصوص النفح على ما تيسّر لديهم حينئذ من مصادر؛ فجاء الكتاب ذا طابع علمي موثق، ولهذا اعتبرت هذه الطبعة أصلًا معتمدًا، وأشرت إليها في حواشي الطبعة الجديدة باسم أشهرهم في الدراسات الأندلسية وهو "دوزي"، ولم أحاول أن أعيد النظر في المخطوطات التي اعتمدوها ثقة مني

(1) محمد سليم النعيمي– المرجع السابق– ج1– ص7/ حسن حبشي– المسلمون في الأندلس لدوزي– مقدمة الترجمة العربية– ج1– ص11

M.J. DE Goeje- Biographie de R. Dozy, traduite du Hollandais par Victor Chauvin, Leide, E. J. Brill, 1883, P.25-26.

بأمانتهم التي تبلغ حد التزمّت في إثبات الفروق بين مختلف النسخ الخطية"[1].

وعنوان الكتاب كاملًا هو "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب" لمؤلفه أبي العباس أحمد بن محمد بن العباس بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد الشهير بالمقّري التلمساني، المتوفى في جمادى الآخرة سنة 1041هـ/ 1631م[2].

يُعتبر هذا الكتاب موسوعة للحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية، ويحتوي على تراجم الرجال في الأندلس، كما يعتبر مصدرًا أساسيًا لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس والمغرب[3].

وينقسم إلى قسمين: يتعلق الأول بالأندلس، وفيه ثمانية أبواب: منها وصف جزيرة الأندلس، وذكر قرطبة، والتعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق، وذكر الوافدين على الأندلس من أهل هذه الأخيرة. أما القسم الثاني فقد خصصه للتعريف بلسان الدين ابن الخطيب، وفيه أيضا ثمانية أبواب وتضمنت ذكر أوليته وأسلافه ونشأته وترقيه ووزارته وذكر مشايخه ومخاطبة الملوك والأكابر لحضرته وإيراد جملة من نثره وذكر مصنفاته وبعض تلامذته وأولاده...[4].

---

(1) المقري التلمساني- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق إحسان عبّاس- دار صادر- بيروت- طبعة جديدة- 1997- ج1- مقدمة المحقق- ص19.

(2) المقري التلمساني- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- ج1 ص و.

(3) رضا هادي عباس- الأندلس: محاضرات في التاريخ والحضارة- منشورات إلجا- فاليطا- مالطا- 1998م- ص67-69.

(4) المقّري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- ج1 صص116-120.

وأهم ما يميزه غلبة الطابع الأدبي عليه؛ فهو يحتوي على الكثير من طرائف الأخبار ومقتطفات الأشعار، وقد تنوعت تراجم الشخصيات الأندلسية فيه بين أمراء ووزراء وقادة وكتاب وقضاة وفقهاء وشعراء وزهّاد[1].

يعتبر كتاب نفح الطيب وثيقة مهمة عن تاريخ العدوة الأندلسية وآدابها، من تاريخ افتتاحها إلى سقوط آخر قلعة إسلامية بأيدي الإسبان سنة 897هـ/ 1492م، وهو بذلك أحد المصادر الرئيسة في مجال الدراسات الأندلسية.

لقد تمكن المؤلف من تصوير الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في الأندلس بالعودة إلى أهم المؤلفات التي دوّنها الكتاب، وعلى رأسهم الأندلسيون، وبخاصة منهم الذين فقدت كتاباتهم، وأمكن المقّري من الاطلاع عليها، فحفظها من الضياع[2].

5- **"تاريخ الموحدين"**[3]: وهو كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لمؤلفه عبد الواحد المراكشي، وأدرج بآخره مقدمة باللغة

(1) وقد طبع النفح عدة طبعات في المشرق آخرها النشرة الجديدة لإحسان عبّاس التي راعى فيها أن تكون المخطوطات التي اعتمد عليها غير تلك التي اطّلع عليه محققو الطبعة الأوروبية، وقد استعان بسبع نسخ جديدة أكثرها ملك للخزانة العامّة بالرباط، وبعضها ملك خاص لأصحابها، فضلًا عن "مقتطفات"، وهي أوراق كتب عليها "قطعة من تاريخ الأندلس". المقّري التلمساني- المصدر نفسه- مقدمة المحقق- ج1- صص15-19.

(2) عبد القادر بوباية- المؤنس- ص283.

(3) The History of the Almohades- preceded by a sketch of the history of Spain, from the times of the conquest till the reign of Yosuf ibn Tashfin, and the history of the Almoravides by Abd al-Wahid al-Marrakusi- Leide- 1847- 290p.

الإنجليزية تشتمل على ترجمة المؤلف، وقد نشرته اللجنة الإنجليزية للمطبوعات الشرقية، ليدن، سنة 1847 في 290 صفحة، وأعيد طبعه بها ثانية عام 1881م، كما قام فانيان (Fagnan) بنقله إلى الفرنسية، وطبع في الجزائر عام 1893م[1].

وفي هذا الكتاب أخبار تاريخية وجغرافية في غاية الأهمّية لبلاد المغرب والأندلس وتراجم لكثير من القرّاء وأعيان الكتّاب والقضاة والشعراء. واستهل المراكشي حديثه بذكر جزيرة الأندلس وحدودها وتعرّض إلى فتحها ثم إلى دخول عبدالرحمن بن معاوية وتأسيسه للإمارة الأموية بالأندلس، وما كان بها من أحداث، ومن حَكم من أبنائه وأحفاده، إلى سقوط الخلافة الأموية التي قامت على يد عبدالرحمن الناصر، وانتهت بعد أحداث الفتنة، وما آلت إليه الأندلس من تصدّع، ثم ذكر ما كان من أمر ملوك الطوائف بالأندلس، وكيف كانت نهايتهم على يد المرابطين الذين وحّدوا المغرب والأندلس تحت رايتهم، واستمرّ في ذكر أخبارهم إلى سقوط دولتهم على يد الموحدين، الذين فصّل في الحديث عن دولتهم من التأسيس إلى أيّام يوسف الثاني سنة 621هـ/ 1224م، كما قدّم لنا عرضًا عن قبائل الموحدين، وفصّل في أقاليم المغرب والأندلس الساحلية والداخلية والمعادن والأنهار العظام بهما.

---

(1) محمد سليم النعيمي- المرجع السابق- ج1- ص6/ عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين- دار العلم للملايين- بيروت- ط3- 1993- ص261/ Gustave Dugat,op, cit, P.51، وقد قام محمد سعيد العريان بتحقيق هذا الكتاب، وأشرفت على نشره مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط1، 1368هـ/ 1949م، وأعاد شرحه والاعتناء به الدكتور صلاح الدين الهواري في إصدار جديد، قامت بطبعه المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1426هـ/ 2006م.

6- **"البيـان المغـرب في أخبار الأندلس والمغرب"[1]**: لابن عذاري المراكشي الذي كان بقيد الحياة سنة 712هـ/ 1312م، حيث نشره أول مرّة مع مقتطفات من تاريخ عريب بن سعد في جزأين، وصدّره دوزي بمقدمة فرنسية في 119 صفحة، وضمّنه تعليقات وشروحًا، وذيّله بمعجم في 4 صفحات، ويقع النص العربي في 694 صفحة، وقد حقّقه اعتمادًا على مخطوط وجـده بمكتبة الأسكوريال (إسبانيا) فيما بين سنتي 1849 و1851م[2].

يعدّ هذا المؤلف من أهم مصادر تاريخ الغرب الإسلامي، لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة أغلبها مقتبس من مصنفات عبثت بها أيام الدهر، ولم تصل إلينا مثل كتاب الرقيق القيرواني والورّاق وابن حيان وغيرهم، ولهذا السبب جاء الكتاب حافلًا بمعلومات تاريخية قيمة ينفرد بها عن غيره من المصادر، وبناء على ما سبق ذكره؛ فإن كتاب البيان المغرب يعدّ

(1) Histoire de l'Afrique et de l'Espagne, intitulée: Al-Bayan al-Moghrib de Ahmed ibn Muhammed Ibn 'Idari al-Marrakusi- 1848-1851- 694p.

(2) نقله فانيـان إلى الفرنسية واستدرك عليه في جزأين، وطبع في الجزائر سنـة 1901، ثـمّ صحّحـه إ. ليفي بروفنسـال (É.L.Provençal) وكـولان (G.S.Colin)، ونشر بروفنسال الجزء الثالث منه، الذي طبع في باريس سنة 1932 ثم في ليدن 1934. ابن عذاري المراكشي- البيـان المغـرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال- دار الثقافة- بيروت- ط3- 1983- الصفحـات الثـلاث الأخيـرة بالفرنسية بعنوان تحذير (Avertissement)/ نجيب العقيقي- المرجع السابق- ج2- ص309-310/ محمد سليم النعيمي-المرجع السابق-ج1- ص7/ عبد الرحمن بدوي- المرجع السابق- ص261/ Gustave DUGAT,op, cit,T2, P.53/M.J. DE GOEJE, op. cit, P.17.

من المصادر المهمة والأساسية في دراسة تاريخ الأندلس والمغرب، ومن أكثرها جدارة بالثقة[1].

الكتاب عبارة عن تاريخ عام للمغرب الإسلامي من الفتح إلى بداية عصر بني مرين بالمغرب الأقصى[2]، ويتألف أصالة من ثلاثة أجزاء هي:

أ- **الجزء الأول،** ويتناول فيه المؤلف تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري[3].

ب- **الجزء الثاني:** خصّصه المؤلف للحديث عن تاريخ الأندلس من الفتح إلى القرن الرابع الهجري (أخبار هشام المؤيد بالله والمنصور محمد ابن أبي عامر)[4]، ومن نهاية القرن الرابع الهجري (حجابة المظفر عبدالملك ابن محمد بن أبي عامر) إلى آخر ملوك الطوائف[5].

---

(1) أحمد مختار العبادي- في تاريخ المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- د. ت-ص330/ رضا هادي عباس- الأندلس- ص62/ محمد المنوني- المصادر العربية لتاريخ المغرب- ج1 ص66/ محمود ماهر حمادة- المصادر العربية والمعرّبة- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط6-1407هـ-1987م- ص316.

(2) أحمد مختار العبادي- في تاريخ المغرب والأندلس- ص330.

(3) ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال- دار الكتب العلمية-بيروت-ط1-2009م-ج1.

(4) ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال- دار الكتب العلمية-بيروت-ط1-2009م-ج2.

(5) ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال-دار الكتب العلمية-بيروت- ط1-2009م-ج3.

ج- **الجزء الثالث:** تناول فيه تاريخ دولة المرابطين، وانتهي عند ولاية العهد لتاشفين بن علي[1]، كما فصّل فيه تاريخ الموحدين من المهدي ابن تومرت إلى بداية دولة بني مرين سنة 668هـ/ 1269م[2].

يتميز الكتاب بكون صاحبه ينقل قطعًا كاملة من مؤلفات أصلية ضاعت الآن، وإذا ذكر شيئًا من عنده فإننا نجده اختصارًا نقله من مؤلفات ذات قيمة أصلية، والكتاب على هذا في جملته يعدّ من الأصول، وإن كان قد ألف في زمن متأخر، ولا يمكن أن يستغني عنه أي دارس لتاريخ الأندلس والمغرب[3].

استهلّ دوزي الجزء الأول من البيان المغرب لابن عذاري بمقدّمة مهمّة باللغة الفرنسية، احتوت أكثر من مئة صفحة، وتناول هذا الجزء تاريخ بلاد المغرب من الفتح الإسلامي سنة 21هـ/ 641م إلى القرن الرّابع الهجري، وينتهي بذكر من ولي إفريقية من صنهاجة القائمين بدعوة العبيدية، وآخر من ذكره منهم "الحسن بن علي" وعليه دخلها الروم.

أمّا الجزء الثاني من البيان فهو يتناول تاريخ الأندلس (إسبانيا الإسلامية) من الفتح إلى نهاية عهد المنصور بن أبي عامر، وآخر ما ورد فيه "غزوة شنت ياقوب على سبيل الاختصار".

---

(1) ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- ط2- 1400هـ- 1980م- ج4.

(2) ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- القسم الخاص بالموحدين- تحقيق ج. س كولان وإ. ليفي بروفنسال- دار الثقافة- بيروت- ط2- 1400هـ- 1980م.

(3) حسين مؤنس- معالم تاريخ المغرب والأندلس- دار الرشاد- القاهرة- ط3- 1420هـ/ 1999م- ص249.

7- **وصف إفريقيا وإسبانيا** أو **"صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس"**[1]: وهو كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لمؤلفه الشريف أبو عبد الله الإدريسي المتوفى حوالي سنة 558هـ/ 1163م.

درس أبو عبد الله الإدريسي في مدينة قرطبة، ثم وطاف بأنحاء العالم الإسلامي وأوروبا حيث زار كثيرا من نواحي الأندلس والمغرب ومصر وآسيا الصغرى، وصقلية التي اتصل فيها بملكها النورماندي روجار الثاني الذي أعجب بعلمه، وطلب منه أن يؤلف له كتابًا عن صورة الأرض[2]، فلبى طلبه وألف له كتابا سماه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، كما رسم له خريطة للعالم المعروف آنذاك.

يشرح المؤلف في مقدمة كتابه منهجه في وصف جهات الدنيا التي كانت معروفة في عصره؛ فيذكر أنه يصف أحوال البلاد والأرض في خلقها وبنائها وأماكنها وبحارها وجبالها ومسافاتها وعملها، وأجناس نباتها والاستعمالات التي تستعمل بها، والصناعات التي تتقن بها، والتجارات التي تجلب منها، والعجائب التي تذكر عنها، مع ذكر أحوال أهلها وهيئتهم ومللهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم ولغاتهم"[3].

---

(1) R. Dozy- et M. J. De Goeje- Description de l'Afrique et de l'Espagne par Edrisi (Sifat al-Magrib wa-ard al-sudan wa-Misr wa-al-Andalus de Muhammed ibn Muhammed al-sarif Abu 'Abd Allah al-Idrisi)- Leyde, E.J. BRILL- 1866.

(2) الشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق-مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة-1414هـ/ 1994م-ج1 ص6-7/ السيد عبد العزيز سالم- التاريخ والمؤرخون العرب- دار النهضة العربية- بيروت- 1981م- ص 193.

(3) الإدريسي- نزهة المشتاق- ج1 ص7/ محمد المنوني- نفس المرجع- ج1 ص44.

يقول السيد عبد العزيز سالم عنه إنه "يعتبر أعظم جغرافي عربي في العصور الوسطى، وكتابه يزخر بالمعلومات الصحيحة"[1] نظرًا لاعتماده على أمهات المصادر التي ألفها الجغرافيون والرحالة الذين سبقوه، إضافة على مشاهداته الخاصة.

وقد حقق دوزي منه ما تعلق ببلاد المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلـــس مع مقدمة باللغة الفرنسية، وتحقيق النص العربي مع تعليقات وفهارس.

8- **"تقويم قرطبة لسنة 961م"**[2]: لمؤلفه أبو الحسن عريب بن سعيد الكاتب، المتوفى سنة 369هـ/ 980م، وكان طبيبًا للحَكَم المُسْتَنْصر بالله، وألف هذا الكتاب سنة 349هـ/ 960م، ويُعرف أيضًا بأوقات السنة.

وقد نشر رينهارت دوزي نصّه العربي سنة 1873 مع مقدمة باللغة الفرنسية، وتعليقات بالعربية وترجمة قديمة باللغة اللاتينية، وهو كما يقول المؤلف في مقدمته: "هذا كتاب جُعِل مُذكِّرًا بأوقات السنة وأصولها، وعدد الشهور وأيّامها، ومجاري الشمس في بروجها ومنازلها، وحدود مطالعها، وقدر ميلها واختلافها في الظل عند استوائها، وتصرّف الأزمان وتعاقب الأيام بالزيادة والنقصان، وفصل البرد والحرّ، وما بينهما من التوسّط والاعتدال، وميقات كل فصل، وعدد أيامه على مذهب أهل التعديل والحساب، ومذهب الأوائل من الأطبّاء الذين حدّوا الأزمنة

(1) السيد عبد العزيز سالم- نفس المرجع- ص193.

(2) Arib ibn Sa'id- Le Calendrier de Cordoue de l'année 961- Texte Arabe et Ancienne Traduction Latine Publié par R. Dozy- Leyde- E. J. Brill- 1873.

والطبائع...، وذكر ما لا غناء عنه للناس من معرفة الزراعة وحين الغراسة، وتعاهد كثير من أسباب الفلاحة، وإمكان جبي الثمارات وضمّ الذخر والأقوات وابتداء نضج الفواكه ومواقت النتاج وغير ذلك..."[1].

تضمَّن الكتاب مواعيد الزراعة حسب الشهور وأوقات الأنواء، وما يحدث على المستويات الفلكية والمناخية وعلاقتها المباشرة بحياة الإنسان ومعاشه؛ فرصد لنا الاحتفالات الزراعية المتنوعة الأجناس والأعراق، وبذلك عكس لنا الثقافة الزراعية للأندلسيين، وتكمن أهمية الكتاب في أنّه قدّم لنا أخبارًا عن رعاية السلطة الأموية لبعض المحاصيل، والكتب والمراسيم السلطانية التي كانت تصدر في حق بعض المزروعات حتى يتولى العامة زرعها أو حصادها؛ خصوصًا ما تعلّق الأمر بالمزروعات الصناعية (قصب السكر، الحناء، الفوة، الزعفران، الكتان...) التي كانت تحظى برعاية خاصة من قبل السلطة الأموية آنذاك.

ثالثًا: البحوث والدراسات: نشر المستشرق دوزي العديد من الدراسات والبحوث التاريخية في شكل مقالات وكتب، ولا يختلف اثنان من أنّ أبرزها يتعلّق بما كتبه في تاريخ وحضارة الأندلس باعتبارها مجال تخصّصه، ومن أهمّ الدراسات التي اشتهر بها، واحتلّت مكانة مرموقة بين الباحثين والدّارسين في هذا الحقل أعماله التّالية:

1- **"أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوسيط"**[2]: طبع الجزء الأول في ليدن سنة 1849، ثم أعاد طبعه في

(1) Idem- p1-2.

(2) R. Dozy- Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le moyen âge- Leyde- E. J. Brill- 1849- Tome 1- 471p/ Tome 2- 516p.

مجلدين سنة 1860، خصّص المجلد الأول لتقديم دراسات مستفيضة باللغة الفرنسية عن الفتح العربي لبلاد الأندلس من خلال المصادر العربية واللاتينية، ومنها حوليات إزيدور الباجي، وأورد نصوصًا عن ملكية الأراضي بعد الفتح، وتاريخ مملكتي أشتوريش وليون في المصادر اللاتينية، وتاريخ الممالك النصرانية في إسبانيا حتى وفاة المنصور محمد بن أبي عامر سنة 392هـ/ 1002م في كتابي العبر لابن خلدون عبد الرحمن والبيان المغرب لابن عذاري، وحاول في دراسة أخرى كتابة تاريخ التجيبيين في سرقسطة وبني صمادح في المرية كما درس قصيدة أبي إسحاق الإلبيري التي حرضت مسلمي غرناطة ضد يهود المدينة، وأورد ملاحظات عن بعض أسماء المدن الأندلسية، وكتب عن حملة ألفونسو المحارب على جنوب الأندلس في القرن 11م، ثم أتبع هذه الدراسات بنصوص عربية عن تقسيم الأراضي من طرف موسى بن نصير وتاريخ الممالك النصرانية في كتاب العبر لابن خلدون[1].

وصحّح في الدراسة الأولى التي تضمنها المجلد الثاني الأخطاء التي وقع فيها الباحثون الأوربيون الذين كتبوا عن تاريخ المسلمين في إسبانيا ابتداء بالمؤرخ الإسباني كوندي (Conde)[2]، ومن المواضيع التي فصّل فيها شخصية السيد القمبيطور اعتمادًا على المصادر العربية، وبخاصة

(1) R. Dozy- Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le moyen âge- Leyde- E. J. Brill- 1849- Tome 1- 471p.

(2) كوندي: هو خوسي أنطونيو كوندي (1765–1820)، مستشرق إسباني، من مؤلفاته تاريخ حكم العرب في إسبانيا- خلفاء قرطبة- في النقود العربية- وصف إسبانيا للشريف الإدريسي وغيرها. للمزيد انظر عبد الرحمن بدوي- نفس المرجع- ص491.

منها الحلة السيراء لابن الأبار القضاعي، والذخيرة لابن بسام الشنتريني، وحاول من خلالها أن يحلّ المشكلات التاريخية والنقدية والأدبية التي تتعلق بوجود هذه الشخصية، وأورد مقتطفات من كتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي، وخصص دراسة للحديث عن هجمات النورمانديين (المجوس كما تسميهم المصادر العربية) على بلاد الأندلس في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وختم هذا المجلد بجملة من الملاحق منها نصّا ابن بسام وابن الأبار عن السيد القمبيطور الذي استولى على مدينة بلنسية، ونص أحمد النويري عن غزوات المجوس، وقد علق عليها باللغة الفرنسية[1].

تعدّ هذه الدراسات إضافة نوعية إلى تأريخ الأندلس، كما تعدّ مساهمة جادة حاول بها دوزي تصحيح كثير من المُغالطات الواردة في دراسات كثير من المستشرقين، وبخاصة منهم بعض الإسبان عن الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس على غرار ما كتبه كوندي.

2- **"تاريخ المسلمين في إسبانيا إلى الفتح المرابطي"**: يعدّ من أبرز الدراسات التاريخية التي أنجزها رينهارت دوزي، واستغرق منه ذلك العمل عشر سنوات (1851-1861)، وتكمن أهميته في اعتماد مؤلفه على كل المخطوطات أو جُلَّها المتعلقة بتاريخ المسلمين في إسبانيا، الموجودة في خزائن المخطوطات بأوروبا، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء هي: الجزء الأول وعنوانه "الحروب الأهلية"؛ بيّن فيه خصائص

(1) R. Dozy- Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le moyen âge- Leyde- E. J. Brill- 1849- Tome 2- 516p.

العرب، وتحدّث عن نشأة الإسلام والمنازعات التي أعقبت وفاة النبي (ﷺ)، الجزء الثاني وعنوانه "النصارى والمرتدين"، وقدّم فيه صورة حيّة عن إسبانيا في عهد الرومان والقوط الغربيين، وأتبعه بالكلام عن فتح إسبانيا على يد المسلمين بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، وعملية الفتح وفق تسلسله التاريخي، الجزء الثالث وعنوانه "الخلافة"، وبدأه بالحديث عن عبدالرحمن الداخل، وخلافة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، وكرّس فصلًا ممتازًا وأصيلًا عن المنصور بن أبي عامر، الجزء الرابع وعنوانه: "الحكّام الصغار"؛ بدأه بتشتّت الملك بين أيدي البربر وبعض الأسر العربية والصقلبية، وخصّص فصلًا مطولًا عن بني عبّاد ملوك إشبيلية، وأنهى هذا الجزء بالحديث عن مجيء المرابطين فاتحين للأندلس[1]، وطبع الكتاب في ليدن سنة 1861م[2].

نظرًا لقيمته العلمية قام الدكتور حسن حبشي بترجمته إلى اللغة العربية، وقسمه إلى ثلاثة أقسام، تضمن الجزء الأول منه الموسوم بـ"الحروب الأهلية" ستة عشر فصلًا، تناول فيها العناصر التالية:

---

(1) R. Dozy- Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquete de l'Andalousie par les Almoravides (711- 1110)- E.J.Brill- Leyde- E.J.Brill- Leyde- 1861- Tome Premier- les guerres civiles- pp3-389/Op-cit- Tome Deuxième- les chretiens et les renégats- pp3-352/Op-cit- Tome Troizième- Le Califat- pp3-374/Op.cit- Tome Quatrième- les Petits Souverains- pp3-288
عبد عبدالرحمن بدوي- المرجع السابق- ص262/

(2) قام سانتياجو (Santiago) بترجمته إلى الإسبانية، وطبع في مدريد سنة 1920، وأعاد ليفي بروفنسال طبعه في ليدن 1932؛ فأصبح مرجعًا لا يمكن الاستغناء عنه، ونقل عنه الأستاذ كامل الكيلاني مع كتاب ملوك الطوائف. نجيب العقيقي- المرجع السابق- ج2- ص310/ محمد سليم النعيمي- المرجع السابق- ج1- ص7.

العرب في الجاهلية، طبيعة عرب الجاهلية، حرب الخلافة، بدء الفتنة، حرب المدينة، العصبية في مرج راهط، موقف الخوارج، العصبية القبلية، المهلب والحجّاج، البربر وبلج القشيري، استقرار العرب في إسبانيا، ولاية أبي الخطار، عبد الرحمن الشريد، عبد الرحمن الداخل، تثبيت الملك، صقر قريش[1].

أما الجزء الثاني فقد تضمن ثمانية عشر فصلًا، وجعل دوزي من فصله الأول مدخلًا إلى مرحلة حكم عبد الرحمن الناصر، وتناول في هذا الفصل الزندقة فيمن سمّاهم المتظاهرين بالإسلام في فارس وفي إسبانيا ضدّ الحكم الإسلامي، وكيف واجه النّاصر الأخطار المحدقة بالخلافة الأموية في الأندلس وبلاد المغرب بما في ذلك مواجهته لمراكز القوى المسيحية في الشمال، وفي الفصل الثامن عشر تعرّض إلى اضطراب الأمور الداخلية، بعد أحداث الفتنة القرطبية نهاية القرن 4هـ/ 10م، وما تلا ذلك من منازعات وخصومات دموية حول الحكم ستؤدّي في النهاية إلى زوال الخلافة الأموية سنة 422هـ/ 1031م، وأهم العناصر التي تضمنها هذا الجزء: المواجهة بين الناصر ومراكز القوى المسيحية- خلافة الحكم بن عبد الرحمن، المنصور بن أبي عامر والدولة العامرية، المهدي والبربر وهشام بن الحكم، المنازعات والخصومات الدموية حول الحكم، اضطراب الأمور الداخلية، وأتبعه بحواشي الفصول[2].

---

(1) ر. دوزي- تاريخ مسلمي إسبانيا- الجزء- الحروب الأهلية- ترجمة الدكتور حسن حبشي- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- دار المعارف- القاهرة- 1963- صص13- 236

(2) رينهرت دوزي- المسلمون في الأندلس- ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1994- صص7- 224.

احتوى الجزء الثالث خمسة عشر فصلًا، تحدث فيها إجمالًا عن الصراعات الداخلية التي طغت على الحياة السياسية في الأندلس بعد أحداث الفتنة، وظهور هشام المؤيّد بالله، وما كان من أمر ملوك الطوائف، الذين استعانوا بالنصارى لتثبيت حكمهم؛ حيث كان ذلك سبب إذلالهم من لدن ألفونس السادس ملك قشتالة وليون، وعندما أوشك أن يلتهمهم واحدًا تلو الآخر، استنجدوا بيوسف بن تاشفين الذي استجاب لندائهم، وتمكن من الانتصار على ألفونس بمساعدتهم، لكن هؤلاء عادوا إلى ما كانوا عليه من قبل؛ فاستوجب ذلك العودة إلى الأندلس للتخلّص منهم، وينتهي هذا الجزء عند الفصل الخامس عشر الذي تناول فيه سيرة المعتمد بن عبّاد ونهايته، ومن أهم العناصر التي تضمنها هذا الجزء: الصراعات المحلية وظهور هشام الثاني، اضطراب الأحوال بين الأمراء مرة أخرى، ارتقاء المعتضد معارج القوة واستفحال أمره حربيًا، فرديناند ملك ليون وأمراء الطوائف، ابن عمار والمعتمد والرميكية، إذلال ألفونس لملوك الطوائف، ابن تاشفين وأمراء الأندلس، اليهود والنصارى زمن المرابطين، سيرة المعتمد ونهايته[1].

إنّ كتاب دوزي "تاريخ المسلمين في إسبانيا إلى الفتح المرابطي" شهد رواجًا وتداولًا في أوساط الطبقة المثقفة لا سيما أهل الاختصاص في الوطن العربي، بعد نقله إلى اللغة العربية.

(1) رينهرت دوزي- المسلمون في الأندلس- ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1995- ج3 صص7-182.

3- **كلام كُتّاب العرب في دولة بني عبّاد**[1]، يقع في ثلاثة أجزاء، ونشره بليدن فيما بين 1847 و1863م[2].

يتألف الكتاب من خمسة عشر فصلًا، وهو عبارة عن اقتباسات من الكُتّاب العرب تتعلق ببني عبّاد ملوك إشبيلية، حيث يورد النص العربي، ثم يترجمه إلى اللغة اللاتينية، ويعلق عليه، ومن الكتّاب الذين نقل عنهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن إبراهيم المواعيني مؤلف كتاب "ريحان الآداب وريعان الشباب" (صص1-10)، وابن الكردبوس التوزري مؤلف كتاب "الاكتفاء في أخبار الخلفاء" (صص11-27)، وابن الأثير الجزري في كتاب "الكامل في التاريخ" (صص32-45)، وابن الأبار القضاعي من كتاب "الحلة السيراء" (صص46-123)، وأحمد بن محمد النويري صاحب كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" (صص124-138)؛ حيث يُعرّف في كل فصل بالمؤلف باللاتينية، ثم يورد ما كتبه عن بني عبّاد، ويعلق على ذلك باللاتينية، كما يصحح النصوص بالعربية.

يعتبر هذا الكتاب من أحسن ما ألّف دوزي؛ إذ جمع فيه كل كتابات المؤرخين العرب حول موضوعه؛ حيث عمد إلى هذه المصادر فاستخرج منها النصوص المتعلقة ببني عبّاد الذي أسسوا واحدة من أكبر الممالك الإسلامية في الأندلس بعد الإعلان عن زوال الخلافة الأموية سنة 422هـ/ 1031م؛ بداية بمؤسس هذه الدولة المعتضد بن

(1) R.P.A Dozy- Scriptorum Arabum Loci de Abbadidis- Lugduni Batavorum- E.J.Brill- nunc primum editi- 1852- 307p./ Second vol.287p/Third Vol. 250p.

(2) نجيب العقيقي- المستشرقون- ج2 ص659.

عباد، وانتهاء بالمعتمد بن عبّاد الذي سقطت الدولة في عهده على يد المرابطين سنة 483هـ/ 1090م.

4- **"تاريخ الإسلام من عهد محمد إلى يومنا"[1]**: ألفه بطلب من الناشر الهولندي كروسمان (Kruseman) الذي اقترح عليه أن يكتب فصلًا عن الإسلام في كتاب عن تاريخ الأديان الرئيسية؛ فكتب دوزي هذا الفصل بالهولندية، وتناول فيه تاريخ الإسلام من عهد النبيّ محمد (ﷺ) حتى يومنا هذا أي سنة طبعه بليدن سنة 1863، وقد ترجمه شوفان (Chauvin)؛ وهو أستاذ بجامعة لييج؛ إلى الفرنسية، ثم أعيد طبعه في ليدن سنة 1879، وكان هذا الكتاب بسيطا قصد به عامّة القرّاء[2]، ونشره الكيلاني تحت عنوان **"نظرات في تاريخ الإسلام"**، واشتملت هذه الفصول على ديانة العرب في الجاهلية؛ حيث تعرّض للديانات الوثنية والمسيحية واليهودية ثم الحنفية، كما ذكر الأحداث التي وقعت بعد وفاة النبي (ﷺ)، بداية بانتخاب الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سقيفة بن ساعدة، ومواجهته لحروب الردّة بعد تولّيه للخلافة، بينما خصّص المؤلّف الفصل الأخير لقواعد الإسلام وأسباب انتشاره ومعجزة الإسلام وديانة الفرس[3].

---

(1) R. Dozy- Histoire de l'Islamisme depuis Mahomet jusqu'à ce jour 1863/R. Dozy- Essai sur l'Islamisme- traduit du Hollandais par Victor Chauvin- 1879.

(2) عبد الرحمن بدوي- المرجع السابق- ص262-263

Gustave Dugat- op- cit- T2- P.49-50.

(3) رينهارت دوزي- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام- ترجمة كامل كيلاني- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة- ط1- 2012- صص 225- 253.

5- **اليهود في مكة**[1]: وترجمة العنوان الكامل الوارد في الهامش 3 أسفل الصفحة هو على النحو التالي: "بنو إسرائيل في مكة من زمن داود (عليه السلام) إلى القرن الخامس الميلادي: مساهمة في نقد العهد القديم والبحث في أصل الإسلام"، وقد أصدره سنة 1864م، اعتبره البعض من أحسن ما كتب دوزي، وبخاصة في هولندا التي أثنى يهودها عليه، بينما عدّه آخرون من أسوأ ما ألف، وبخاصة اليهود الألمان الذين استقبلوه بحملة انتقادات مريرة[2].

6- **السيد القمبيطور**: نشره سنة 1860م، ويدور موضوع الكتاب حول شخصية إسبانية في العصور الوسطى يدعى رودريق دياز دي بيفار الشهير باسم "السيد القمبيطور" (le Cid Compeador) الذي انتزع مدينة بلنسية من أيدي المسلمين سنة 489هـ/ 1095م، تناول في القسم الأول منه المصادر اللاتينية والعربية التي أرّخت لهذه الشخصية، وخصّص القسم الثاني لشخصية السيد الحقيقية، والقسم الثالث لشخصية السيد الواردة في الأشعار، وأتبعها بملاحق استغرقت 82 صفحة، وقد اعتمد فيه بدرجة أساسية على كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني الذي اكتشف نسخة منه سنة 1844 بمدينة غوتا، وقد ورد ذكره في ثنايا ترجمة المؤلف لحاكم مرسية أبي عبد الرحمن ابن طاهر[3].

---

(1) Dr. R. Dozy- Die Israeliten zu Mekka von Davids zeit bis in's funfte jahrhundert unserer zeitrechnung, ein Beitrag zur alttestamentlichen kritik und zur erforschung des ursprungs des Islams- 1864.

(2) Dugat- op-cit- T2- P61/ بدوي- نفس المرجع- ص263.

(3) R. Dozy- Le CID d'après de nouveaux documents- Leyde- E.J.Brill- 1860- 351p.

7- **إسبانيا في عهد كارلوس الثالث**، ونشره سنة 1858م[1].

رابعًا: المقالات والتعليقات:

1- **عرض ونقد ترجمة البارون دو سلان لمقدمة ابن خلدون**[2]: يقع في 80 صفحة، ونشره في المجلة الأسيوية- عدد أغسطس- سبتمبر 1869، قدّم فيه دوزي دراسة مُعَمَّقة ورائعة لهذا المؤلف المهم، وصحّح فيه الكثير من الأخطاء التي وقع فيها المحقق، ومنها على سبيل المثال: المقرّبون من العجم وصوابها المتَعرِّبون من العجم، يفي لها والصواب بقي لها، الخدّ الشريف والصحيح الخدّ الشريق[3].

2- **نقد كتاب "إسهامات في تاريخ العرب المغاربة"**: ونشره في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية (ZDMG) سنة 1866 (ص614 وما يليها).

3- **نقد لرسالتي إرنست رينان "ابن رشد والرشدية" و"الفلسفة المشائية عند السريان"**: نشره في المجلة الأسيوية- عدد يوليو 1853م.

4- **نقد لنشرة وترجمة "رحلة ابن بطوطة"** التي قام بها دفريمري وسانجيناتي (Sanguinetti) إلى الفرنسية، ونشر في "حوليات جتنجن" عدد 25 الذي صدر في فبراير 1860م.

---

(1) يحيى مراد- معجم أسماء المستشرقين- ص521 نقلا عن موقع:
https://www.noor-book.com/ كتاب- معجم-أسماء-المستشرقين

(2) Compte-rendu de la traduction des prolégomenes d'ibn Khaldoun par M. de Slane- Journal Asiatique- Sixième Serie- Tome XIV- Imprimerie Royale- Paris-1869- pp133- 218.

(3) Dugat- Op-cit- T2- p63.

5- رسائل عن بعض الكلمات العربية الموجودة في الفصل 624 من التاريخ القطالوني تأليف آن رامون مونتانر (An Ramon Muntaner) ونشره في المجلة الأسيوية أغسطس 1847.

6- ثلاث مقالات طويلة عن الأدب الإسباني في العصر الوسيط، ونشرها في مجلة هيس 1848م.

7- تحليل لمقالة كتبها دوفرميري (Defrémery) عن "أسراء الأمراء"، ونشرها في المجلة الأسيوية- نوفمبر- ديسمبر 1848م.

8- مقال قام فيه بتصحيح نص رسالة ابن الخطيب التي نشرها سيمونيت (Simonet) في كتابه الموسوم بـ"وصف مملكة غرناطة تحت حكم بني نصر استنادًا إلى المؤلفين العرب مع نشر لنص لمحمد ابن الخطيب"، ونشره في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية (ZDMG) سنة 1862 (ص580 وما يليها)، والمقترحات التي افترضها دوزي لتصحيح مواضع من النص قد أيد معظمها مخطوطان آخران راجعهما مولر (M.J.Muller)، ونشر مراجعته في كتابه بيتراج (Beitrage)[1].

9- القرطبيان عريب بن سعيد وربيع بن سعيد: ونشره في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية سنة 1866م، بداية من الصفحة 595 وما بعدها[2].

(1) بدوي- المرجع السابق- ص262- 263.

(2) Dugat- Op-cit- T2- p62.

خامسًا: فهارس المخطوطات:

1- **فهرس المخطوطات الشرقية في المجمع الهولندي بأمستردام**: بمساعدة آخرين، ونشره بليدن سنة 1851م[1].

2- **فهرس المخطوطات الشرقية في جامعة ليدن**: وقد نشره بليدن سنة 1851م[2].

إضافة إلى مقالات أخرى خصّصها لبعض الأحداث التاريخية الهامة التي شهدتها البلاد الأوروبية، وبخاصة منها هولندا وفرنسا وإسبانيا سنوردها في ثبت مؤلفات دوزي لاحقًا.

أهمّ أطروحاته المتميّزة: ليس ثمّة شك في أنّ هذا الكمّ الهائل من البحوث والدراسات التي نشرها دوزي إنّما يدلّ على علوّ كعبه ورسوخ قدمه في ميدان التأليف، الذي كرّس له أزيد من أربعين عامًا من العطاء الفكري، وككلّ أولئك الذين يتميّزون بأعمالهم الكبيرة؛ فإنّه يشهد لدوزي بتميّزه في بعض المؤلّفات مقارنة بباقي إنجازاته، ومن مؤلفه **"تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى الفتح المرابطي للأندلس من 711 إلى 1110م"** سنعمل على إبراز أطروحاته المتميزة ومنهجه في التأليف التاريخي.

من المعروف أنّ لدوزي عدّة دراسات وبحوث تاريخية أسهمت في إثراء الرصيد المعرفي لدى العامّة والخاصّة لا سيما في الفترة

(1) عقيقي- نفس المرجع- ج2 ص660.

(2) يحيى مراد- معجم أسماء المستشرقين- ص520 نقلًا عن موقع:
https://www.noor-book.com/ كتاب- معجم-أسماء-المستشرقينpdf-.

الوسيطة، إلاّ أنّه لا يختلف اثنان على أنّ أهمّ دراسة قام بها في هذا المجال تكمن في مؤلّفه تاريخ المسلمين في إسبانيا.

لقد صرّح دوزي بأنّ تاريخ إسبانيا، لاسيما تاريخ المسلمين بها، كان يمثّل مجال دراسته المفضل في كلّ الأوقات، ويُفهم من كلامه هذا أنّه كان يتوخّى تدوين تاريخ شامل وكامل للمسلمين في إسبانيا في الفترة المشار إليها أعلاه، لا يشوبه النقص والتقادم بمرور الزّمن حتّى لا يقع فيما وقع فيه المستشرق "كوندي" ومن نحا نحوه من المؤرخين الذين نقلوا عنه دون تمحيص ولا تبصّر.

ولكي يرسم لنا صورة صادقة للبلد مطابقة للعصر حرص على البحث عن المصادر المخطوطة الدفينة في أوروبا، واجتهد بالحفر في نصوصها والجمع بين المُبعثر منها ومُقارنة بعضها ببعض، ولأنّه كان يعلم أنّ موضوعًا بهذا الشّكل وبهذا الحجم لا يمكن أن يكون في بضع سنين؛ فقد تريّث في نشر عمله هيبة من جِدَّته؛ فاستغرق في إنجازه بضعًا وعشرين سنة بين البحث وجمع المادّة العلمية والدراسة التي كلّلت في النهاية بهذا العمل[1].

إنّ من يقرأ للمستشرق دوزي يلاحظ أنّه عالج موضوع كتابه وفقًا للتحقيب الموضوعاتي، وهو تحقيب أفقي، بحيث قسّمه إلى أربعة أجزاء، كلّ جزء منها يعدّ موضوعًا مستقلًا بذاته، بالنظر إلى عنوانه الكبير الذي يبحث فيه، إلاّ أنّه لم يُسقِط من عمله التقسيم العمودي الذي يعتمد

(1) R.Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides (711-1110), Leyde, E. J. Brill, 1861, T1, Avertissement, P.4.

التاريخ التسلسلي ضمن الإطار الزمني العام للفترة التي يتناولها بالبحث والدراسة من دون أن يقطع وحدة الأحداث.

فهو يقسّم كلّ جزء من أجزائه الأربعة إلى عدّة فصول، تتراوح ما بين 14 إلى 18 فصلًا من جزء لآخر، ففي الجزء الثاني- على سبيل المثال- نلاحظ أنّه قسّمه إلى 18 فصلًا، وتدرّج في فصله الأول من الحديث عن طبقات المجتمع الإسباني قبل الفتح وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية، ثم انتقل إلى الحديث عن فساد النظام الإداري، ليتناول بعدها حكم المتبربرين لإسبانيا وفصائلهم، وكيف قاوم أتباع القديس أوجستين (Saint Augustin) الفوضى التي أحدثها هؤلاء في البلاد، ثم تعرّض عقب ذلك إلى الحالة التي أصبحت تُدار بها الكنيسة، التي كانت تضع مصالحها فوق كلّ اعتبار، ولم تحاول تغيير أوضاع الشعب، الذي استشرى فيه الرّق والاسترقاق واستفحلا بسبب سيطرة اليهود على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ولاستعادة هيبتهم في البلاد، اضطهد الحكّام اليهود للحدّ من نفوذهم ومحاولة تهويدهم للمجتمع الإسباني؛ فأصدروا قوانين صارمة لإنقاذ البلاد من التهاوي والسقوط في قبضتهم[1].

وممّا يجب التّنويه به أنّه يستمرّ في تطبيق المنهجية نفسها في تناول سائر فصول كلّ جزء، بالانتقال من حدث لآخر، وفقًا للتسلسل الزمني للأحداث داخل المرحلة التي يتناولها بالدراسة، ويُعْزى ذلك إلى علل متنوّعة فرضت نفسها عليه في مقدّمتها طبيعة الموضوع في حدّ ذاته، التي استوجبت على صاحبه تقسيمه إلى أربع محطات تاريخية كبرى لإسبانيا،

(1) R.Dozy, op, cit, T1, PP.3-30.

لكلّ محطّة بارزة عنوانها وأحداثها المهمّة، كما أنّ تناول الموضوع بهذه الطريقة يمنح مؤلّفه القدرة على احتواء مادّته ويعطيه هامشا عريضا يمكّنه من حرّية التصرّف في معالجة أحداثه حدثًا بحدث وفق أهمّيتها؛ مُتنقّلًا بينها بكلّ سهولة ويسر، فضلًا عن وضع القارئ أمام شريط من الأحداث المشوّقة في نسق واحد يخضع لعامل التسلسل الزمني، الذي يولّد رغبة شديدة لديه في مواصلة الاطلاع على بقية الأحداث، كما لو كان الأمر يتعلّق بعمل سينمائي مقسّم إلى أجزاء يتبع بعضها بعضًا لتكتمل الصورة النهائية المراد ترك انطباعها لدى المشاهد خدمة للهدف المتوخّى من العمل ككلّ متكامل.

وتفاديًا للنّقد ولوم من يقرؤون عمله هذا من أهل الاختصاص، التمس لنفسه الأعذار فيما يمكن أن يلاحظوه من نقص؛ فأشار دوزي إلى أنّه تحاشى إتخام صفحات كتابه بالتفاصيل المملّة، وأنّه وجد نفسه مضطرًا إلى السكوت عن أمور رآها غير مهمّة ولا تتماشى مع خطّته العامّة، كما ذكر أنّه التزم بالواقعية الدقيقة لقناعته بأنّ مزيدًا من التوسّع لن يضفي عليه مزيدًا من الحيوية والرونق، لذلك تجنّب الإطالة السقيمة، حتّى لا تطفئ ما يجدر بهذا التاريخ من الوضوح؛ فلم يُكثِر فيه من الملاحظات، ولم يُثقِله بالنصوص، ولم يُتخِمه بالاقتباسات، إذ ينبغي أن يكون المكان للحقائق وحدها، ويضيف بأنّه التزم بالأسلوب العلمي من خلال الحرص على بيان المصادر التي قامت عليها الحقائق التي توصّل إليها[1].

(1) رنهارت دوزي، المسلمـون في الأندلس، حسن حبشي، مقدمة الترجمة العربية، ج1 ص18.

وبالرّجوع إلى مقدمة المؤلّف للطبعة الأولى لكتابه ندرك تمامًا أنّه ألزم نفسه بالغوص في الأصول الأولى لموضوع مسلمي إسبانيا لجعله ينبض بالحياة، وهو يعبّر عن ذلك بقوله: "وأعتقد أنّي لا أكون مُجانبًا الصواب إن قلت إنّي أكاد أكون قد رجعت تقريبًا إلى معظم المخطوطات الموجودة في أوروبا، المتعلّقة بتاريخ مسلمي الأندلس؛ رجوعًا مكّنني من دراسة موضوعي، والإلمام به من شتّى جوانبه"[1].

ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى ما قاله ليفي بروفنسال، الذي اعتبر تاريخ المسلمين في إسبانيا "خلاصة العديد من مطالعات دوزي ذي المقدرة على ما بذله من جهد انتزع الإعجاب به حتّى اليوم، وذلك برجوعه في مادّته إلى الأصول الأولى في الحوليات العربية واللاتينية والإسبانية، وكان معظمها لا يزال غير منشور ومطويًّا ضمن المخطوطات المبعثرة في أوروبا، وكانت هذه الأصول قادرة على إلقاء شيء من النور على تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي في شبه جزيرة إيبريا"[2].

---

(1) Ibid, T1, Avertissement, P.6/

رنهارت دوزي، المرجع السابق، ج1 ص17.

(2) رنهارت دوزي، المسلمون في الندلس، المرجع السابق، كلمة المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، ص21/ انظر أيضًا قائمة المؤلّفات المطبوعة والمخطوطة التي اعتمد عليها دوزي التي فاقت 80 كتابًا بين مصدر ومرجع:

Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides (711-1110), Leyde, E. J. Brill, 1861, T4, PP.306-311.

لا شكّ في أنّ من يقرأ مؤلف دوزي يخرج بجملة من النقط عن خصائص كتابته التّاريخية، وسنحاول إجمالها فيما يلي:

- العودة إلى ما تمّ تأليفه قبله من مؤلّفات عن إسبانيا، وعدم قبوله بكثير من تفسيرات من سبقوه لنقص مادّتهم العلمية وقلة زادهم في قواعد اللغة العربية وافتقادهم للحاسة التاريخية، التي جعلت تفسيراتهم خاطئة أدّت بهم إلى الخروج منها بنتائج مغايرة[1].
- بروز شخصيته في أسلوب كتابته التي تهيمن على كلّ ما يورده في صفحات تاريخه التي يسندها إلى أصولها بدقّة متناهية من دون تخلّيه عن التمحيص والمقارنة فيما بينها.
- وتبدو هذه الدقّة في تحديده للتواريخ حيث يثبت ما يقابل التقويم الهجري بالسنوات من التقويم الميلادي من دون خطأ، إلاّ أنّه غالبًا ما يذكر القرن الميلادي بمفرده.
- كما تبدو أيضًا في المقابلة بين الروايات وتحكيم المنطق التاريخي والعقلي في المفاضلة بينها إذا تعدّدت[2].

---

(1) R.Dozy, op, cit ; T1, Avertissement, PP.4-5.

(2) يمكن ملاحظة ذلك في تعليقاته بالحواشي نهاية كل جزء من أجزاء كتابه، وكمثال على ذلك تعليقه على ثورة الربض بالضّاحية الجنوبية من قرطبة ضد هشام الأول، التي جعلتها بعض الروايات في سنة 202هـ كابن خلدون وابن عذاري، وبعضٌ جعلها سنة 198هـ كابن الأبّار والنويري والمقريزي. وبعد مقارنته بينها تبنّى الرّأي الثاني الذي قال بأنّ عددًا لا بأس من الثوار بحث عن اللجوء إلى طليطلة التي كانت ثائرة على الحكم، وأنّ هذا الخبر ينطبق على سنة 198هـ، ثم علّق على هذه الروايات بقوله: "من المستحيل أن تكون كلّ هذه التواريخ خاطئة". =

- تجاهله للروايات الأسطورية والأحاديث الخرافية التي نسجت بشأن فتح العرب للأندلس كمائدة سليمان.
- ومن خصائص كتابته أنّه لا يتجاوز الأندلس كموضوع، وأنّ ما أورده من أخبار المشرق وبلاد المغرب جاء في سياق علاقته المتّصلة بموضوعه؛ فلا يمكنه تجاوزها لقيمتها التاريخية، ولا الاستغناء عنها باعتبارها جزءًا لا يتجزّأ من الحقل الدراسي الذي يبحث فيه.

= R.Dozy, op, cit ; TII, note B, P.70, voir à la fin de ce volume, PP.353-355.

ب- مختارات من كتاباته الفكرية والإبداعية تبرز أسلوبه ورؤيته للعالم العربي:

* **تاريخ مسلمي إسبانيا:** يقول دوزي: "ظلّ تاريخ إسبانيا- وتاريخ المسلمين بها بصفة خاصة- دراستي المفضلة وشغلي الشاغل في كل ساعة لمدة عشرين عامًا، وقبل أن أبدأ العمل في هذا الكتاب الذي أنشره الآن قضيت جزءًا من عمري في جمع المعلومات التي كانت مبعثرة في جميع مكتبات أوروبا تقريبًا، وفحصها ومقارنتها بعضها ببعض ونشر جزء كبير منها، وعلى كل حال فإني أقدّم إلى الجمهور هذا التاريخ بحذر شديد؛ فالموضوع الذي اخترته جديد، وما ذلك إلا لأن الكتب التي تعالجه لا فائدة منها ألبتّة كما سبق أن أوضحت في مكان آخر؛ لأنها اعتمدت على كتاب كوندي[1]، وأعني بهذا أنه عمل رجل لم يكن تحت تصرّفه إلا مواد قليلة، وهو لجهله بقواعد اللغة العربية لم يكن قادرًا على فهم ما تذكره، كما أنه كان ينقصه روح النقد التاريخي كلية.

ولم يكن الأمر هو تصحيح بعض الحوادث المشوهة هنا وهناك في أعمال من تقدّمني، وذكر بعض الوقائع الجديدة، ولكن أخذ الأشياء من جذورها، وإحياء تاريخ المسلمين بالأندلس أول مرة، وإذا كانت جِدّة

(1) كونـــدي خـــوسي أنطونيو (Jose Antonio CONDE): مستشـــرق إسباني (1765-1820)، من مؤلفاته: "تاريخ حكم العرب في إسبانيا" استنادًا إلى مخطوطات ومؤلفات عربية متعددة في ثلاث مجلدات (1820-1821)، "خلفاء قرطبـــة" (1820)، "أشعـــار شرقية" (1819)، "في النقـــود العربية" (1817)، "أبو عبد الله بن محمد الشريف الإدريسي: وصف إسبانيا"، الأصل العربية مع ترجمة إسبانية وتعليقات (1799). عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين- ص491.

الموضوع تكون عنصرًا من عناصره الجذابة؛ فإنها سبّبت لي في الوقت نفسه كل الصّعاب، وأعتقد أن جميع المخطوطات المتعلقة بتاريخ المسلمين الموجـودة في أوروبا كانت جميعها تقريبًا في مُتناول يدي، ولقد درست الموضوع من جميع نواحيه، ونظرًا لأنه لم يكن في غرضي أن تكون الكتابة علمية جامدة وجافة مخصّصة لطبقة معينة من القراء أو أخرى؛ فقد حرصت على ألا أذكر كل الحقائق التي وصلت إلى علمي"[1].

يقول دوزي في الفصل الأول مُتحدِّثًا عن العرب: "والبدوي أكثر أهل الأرض تمتعًا بالحرية؛ فهو القائل: "لا إله إلا الله""، كما أنه ينعم بحرية مطلقة؛ فإن قارناها بمبادئ الأحرار التقدمية عندنا تراءت الأخيرة وكأنها مبادئ اضطهاد، والحكومة في مجتمعاتنا شرّ لا بدّ منه، ولا يمكن تجنّبه، وهي شر يدعو إليه صلاح المجتمع، الأمر الذي لا يحتاجه البدوي"[2].

ويقول أيضًا: "والعربي مُستعدّ على الدوام للتضحية بكل مرتخص وغال في سبيل قبيلته، والمخاطرة من أجلها بحياته؛ فتراه يقتحم الأهوال التي يأتي فيها الإيمان والحماسة وحدهما بالمعجزات، ثم إنه يُحارب من أجلها حتى يتفتّت جسده تحت حوافر الخيل، ويتقطّع إربًا فلا يعود يشبه جسم الإنسان في شيء، على هذا النحو يفهم البدوي الحرية والمساواة

(1) ر. دوزي- تاريخ مسلمي أسبانيا- الجزء الأول الحروب الأهلية- ترجمة حسن حبشي- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- دار المعارف- القاهرة- 1963- ج1 ص11.

(2) دوزي- نفس المرجع- ج1 ص13-14.

والإخاء؛ فهي نعم كافية له، ولا يرغب أو يفكر في سواها، ثم هو فوق ذلك قانع بما قسم له، أما أوروبا فلا تقنع قط بنصيبها اللهم إلا أن يكون ذلك ليومها فحسب"[1].

وقال أيضًا: "كان أبو بكر رجل الساعة، وتهيأ له في ذاته ما هيأ النصر لمحمد من قبل، إذ لم يكن ينقصه ما ينقص أعداءه من الإيمان الراسخ، واليقين الذي لا يتزعزع"[2].

قال أيضًا: "لقد أبدت الحكومة الإسلامية في الشرق من جانبها روح التسامح الديني نحو أهل البلاد المسالمين من أتباع الديانات القديمة الذين لم يهددوا قط سلامة الدولة؛ إلا أنها لم تكن تستطيع أن تتهاون أبدًا إزاء المسلمين الذين تظاهروا بالإيمان بينما ظلت قلوبهم غلفًا في الوثنية، والذين بذلوا قصارى جهدهم خفية لتغيير وجهة الإسلام، وذلك بتطعيمه بعقائدهم الخاصة"[3].

وقال عن الشيعة الإسماعيلية: "لم تكن الإسماعيلية في بداية الأمر تفترق عن الطوائف الأخرى إلا بتعصبّها وفظاعتها؛ فكان رجالها يجلدون أئمة الدين والفقهاء، ويقتلونهم صلبًا لتوقيرهم ذكرى الخلفاء الثلاثة الأوائل، أو لجهلهم الصيغة الشيعية أو لإصدار فتاويهم وفق المذهب المالكي، وذاق المسلمون منهم كل وبال ونكال، وكان أكبر ما

---

(1) نفسه- ج1 ص17.

(2) نفسه- ج1 ص30.

(3) رينهارت دوزي- المسلمون في الأندلس- ترجمة وتعليق وتقديم د حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1994- ج2 ص7.

يخشاه المتزوج أن يقع عندهم تحت طائلة القصاص بِعدِّهم إيّاه كافرًا؛ إذ يُرغِمونه على مشاهدة زوجته وهي تُغتَصب في حضرته، ويُصفع على قفاه، ويُبصق في وجهه"[1].

وقال عن البربر: "لكن ما الذي كانت تؤول إليه الحضارة العربية الزاهية التي أخذت تخطو قدمًا في معارك التقدم تحت حكم هؤلاء البربر الأميين الذين كان إذا أعوزهم الرجال لمسح الأرض عمدوا إلى استخدام هؤلاء الشرقيين، والذين كانوا إذا تكلموا عن المكتبة قصدوا بها الكتب الدينية"[2].

وقال عن انتصارات النصارى: "وإذا سلمنا بما يذكره أحد المؤرخين النصارى الذي ربما أسرف في تقدير مدى الانتصارات التي أصابها أبناء دينه؛ فقد أصبح ملك ليون على مسيرة يوم واحد من قرطبة، ثم استولى بعد عامين على ناجرة"[3].

وقال عن أحد ملوك النصارى: "يقول أحد المؤرخين العرب إن شانجة كان محاربًا أجوف فارغًا، وليس من شكّ في أنه استعار هذه العبارة من مؤرخ ليوني معاصر، ويقصد الكاتبان الإشارة إلى أن شانجة جعل هدفه تحطيم نفوذ الأشراف، واسترجاع ما كان لأسلافه من السلطان المطلق عليهم مما جعلهم يحسّون بالمقت له والكراهية من دون أن تتوفر له القدرة التي كان عليها أسلافه.

---

(1) نفسه- ج2 ص11.
(2) نفسه- ج2 ص19.
(3) نفسه- ج2 ص28.

والواقع أن شانجة أضاع كل الكفاءات التي هيأت له في بادئ الأمر تقدير رعيته العظيم؛ فأصبح هذا الأمير المنكود مكتظ البدن عاجزًا عن امتطاء جواده، وكان إذا سار فلا بد له من مرافق يعتمد عليه، مما لم يلبث معه أن أصبح مثار السخرية، وأخذ الناس يتهامسون فيما بينهم بوجوب عزل هذا الملك المضحك العاجز"[1].

وقال أيضًا عن زيارة شانجة وأمّه لقرطبة: "ولما بلغت الملكة والملكان وأتباعهم قرطبة تلقاهم الخليفة في قصره بمدينة الزهراء لقاء رائعًا كان له وقعه على الغرباء، وكان ذلك مناسبًا كل المناسبة لإعطائهم فكرة بالغة عن سلطانه وتراثه، ولا شك في أنها كانت لحظة سرور بالغ لعبد الرحمن حين أبصر عند قدميه ابن عدوه اللدود راميرو الثاني الذي انتصر في وقعتي شلمنقة والخندق، كما سرّه أن يرى الملكة الشموس المُتكَبِّـــرة التي قادت بنفسها الجيوش الغالبة في هاتين الموقعتين الخالدتين"[2].

وقال عن عبد الرحمن الناصر: "ليس ثمة اعتراض في أن عبدالرحمن الثالث كان أعظم خلفاء بني أمية الذين حكموا الأندلس، وكانت أعماله آية الإعجاز في إنجازها؛ فقد جاء في وقت كانت الأندلس فيه نهبًا للفوضى والحروب الأهلية؛ كما أنها كانت قد تفرقت أحزابًا، وتقاسمها رهط من الأمراء من مختلف الجنسيات، كما كانت عرضة لغزوات مسيحيي الشمال المستمرة بلا انقطاع، وكان البلد على وشك أن يذهب لقمة سائغة لليونيين أو لفاطميي إفريقية"[3].

---

(1) نفسه- ج2 ص51.
(2) نفسه- ج2 ص54.
(3) نفسه- ج2 ص55-56.

وقال أيضًا عنه: "وليس من شك في أن هذا الرجل الطلعة الحكيم الذي تبلورت فيه وحدة الأمة والقوة، والذي استطاع أن يوجد نوعًا من توازن القوى بفضل محالفاته، والذي بلغ من تسامحه أنه كان يستشير الرجال أيًا كان دينهم...، أقول ليس من شك في أن هذا الرجل كان يعد من حُكّام العصور الحديثة المثاليين أكثر من أن يكون ملكًا من ملوك العصر الوسيط"[1].

وقال أيضًا عن الأندلس على عهد الحكم المستنصر: "وطبيعي أن تزدهر جميع فنون العلم في عهد أمير مثقف كهذا الأمير؛ فكثرت المدارس وآتت أكلها، وكاد جميع أهل الأندلس أن يكونوا ملمين بالقراءة والكتابة في الوقت الذي كانت فيه أوروبا النصرانية- بجميع رجالها ذوي المكانة الرفيعة عدا القسس- في حالة من الجهالة طخياء، ...ومع ذلك فإن الحكم كان يرى أن التعليم غير منتشر كما ينبغي أن يكون، وقد دفعته الرغبة في تثقيف الطبقات الفقيرة لأن ينشئ في عاصمته سبعًا وعشرين مدرسة ينال فيها أبناء العامة حظًا من العلم من غير أجر يدفعونه، متكفلًا هو بدفع رواتب المُدرِّسين من جيبه الخاص"[2].

وقال عن المنصور بن أبي عامر المعافري: "ولقد بلغت إسبانيا زمن المنصور من القوة درجة لم تتهيأ لها أبدًا من قبل حتى ولا في زمن عبد الرحمن الناصر، ويرجع الفضل في ذلك إلى الجيش الذي أنشأه المنصور، ودرّبه على الطاعة والامتثال لأمره، ولم تقتصر خدمة المنصور

(1) نفسه- ج2 ص58.
(2) نفسه- ج2 ص67.

على هذه الناحية فحسب؛ بل لقد كان يعمل على نشر الحضارة، وأدى لها خدمات جمة"[1].

وقال عن موقعة الزلاقة: "أما الأندلسيون الذين انقلبوا على أعقابهم فقد عادوا يجمعون صفوفهم من جديد، ونهضوا ثانية إلى ساحة المعركة لمعاونة المعتمد، كما قام يوسف من ناحيته فكرّ على القشتاليين بحرسه السوداني الذي أبقاه حتى هذه اللحظة بعيدًا عن الحرب؛ فجاء هذا الحرس بالأعاجيب، ونجح أحدهم في الاقتراب من ألفونس، وطعنه بخنجره في فخذه طعنة دامية.

وأرخى الظلام سدوله، ولا زال الفريقان يحارب الواحد منهما الآخر قتالًا عنيفًا كتب بعده النصر للمسلمين، وامتلأت ساحة المعركة بالنصارى ما بين قتيل وجريح، ولاذ سواهم بالهرب، وما كان نجاة ألفونس ذاته مع خمسمائة من رجاله إلا بعد جهد شديد، وتمّ ذلك كله يوم 23 أكتوبر سنة 1086م[2].

ومع ذلك كله فإنه لم يقدر للقوم أن يجنوا من هذا النصر المؤزر ما كان مأمولًا، ذلك أن ابن تاشفين كان قد اعتزم التوغل في البلاد لكنه رجع عن عزمه حين بلغه نبأ موت ابنه البكر الذي تركه وراءه بسبتة مريضًا، ومن ثم اكتفى بترك فريق من الجند يبلغ ثلاثة آلاف رجل تحت إمرة المعتمد، وانكفأ هو عائدًا إلى إفريقية مع بقية قواته"[3].

---

(1) نفسه- ج2 ص148-149.

(2) تقابل سنة 479هـ.

(3) رينهرت دوزي- المسلمون في الأندلس- ترجمة حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1995- ج3 ص134.

ويضيف قائلًا عن نتائج معركة الزلاقة: "ترتّب على وصول المرابطين إلى إسبانيا أن وجد أولي الأمر والنهي في قشتالة أنفسهم مضطرّين لإخلاء بلنسية، ورفع الحصار عن سرقسطة، وتمخّضت هزيمة هؤلاء الأخيرين في الزلاقة عن حرمانهم من فريق من خيرة محاربيهم حتى ليقول المسلمون إنّه هلك في هذه الوقعة منهم عشرة آلاف رجل، ويقول آخرون بل أربعة عشر ألف محارب، أضف إلى هذا أن الأمراء الأندلسيين تخلّصوا من القيد المخجل الذي كان يفرض عليهم دفع الجزية السنوية للإمبراطور ألفونس الذي تلاشى الخوف من هجومه على الغرب منذ أن قام الجند الذين تركهم يوسف ابن تاشفين للمعتمد للدفاع عن حصون تلك النواحي، ولا شكّ في أن هذه نتائج طيبة يحقّ أن تغتبط بها نفوس أهل الأندلس؛ فلا عجب أن عمّت الفرحة جميع رحاب القطر، وتردّد اسم يوسف على كل الشفاه والألسن، وراح الناس يمتدحون رحمته ويثنون على شفقته، ويُعظّمون مقدرته الحربية، وحيّوه باعتباره مخلّص الأندلس ومُنقذ الملة الإسلامية، واعتبروه قائد عصره المجلّى، ولم يكُفّ القوم- لاسيما رجال الدين- على الثناء عليه؛ فقد كان في نظرهم أكثر من رجل عظيم، واعتبروه مُرسلًا من عند الله، ومؤمنًا يُجْدي التبرّك به"[1].

وقال عن حصار لييط: "وحققت الحملة هدف القوم، وإن كان تحقيقًا منقوصًا غير كامل تعوزه الروعة؛ فقد أقام يوسف على حصار الليط أربعة أشهر من دون أن يتمكّن من الاستيلاء عليه، كما أن ارتداده

(1) نفسه- ج3 ص137.

عنه- حين سماعه باقتراب ألفونس- كان أشبه ما يكون بالفرار، ومع ذلك فلم ير الفقهاء فيما حدث ما يقلّل من العطف عليه والتعلق به، وقالوا: إنّ عدم توفيق الأمير المرابطي في الحصول هذه المرة على نتائج طيبة مثل التي حصل عليها منذ أربع سنوات إنما يرجع إلى موقف الأمراء الأندلسيين الذين كانت مكائدهم وغيرتهم من بعضهم وشقاقهم الدائم فيما بينهم حجر عثرة في سبيل الحاكم العظيم، ومنعه من كل ما قد يستطيع عمله لتحقيق مهمته على الوجه الأكمل لو أنه انفرد وحده بالأمر من دونهم، ومجمل القول إن الفقهاء كانوا أشدّ حماسة من كل وقت سبق، وكان لا بد لهم أن يكونوا كذلك؛ لأن الأمراء أخذوا في مضايقتهم منذ أن وقفوا على خبر مكائدهم، وقد دلّهم على ذلك أبو جعفر القليعي قاضي الجماعة بغرناطة"[1].

وقال عن موقف المرابطين من النصارى: "ومجمل القول أن الشعب لم يداخله اليأس إذ ذاك، لكن كل ما في الأمر أن لا بد وأن يكون قد أخطأ لو أنه اعتقد أن المرابطين قد حصلوا على انتصارات حاسمة على النصارى، وأنهم أعادوا بلاد الأندلس الإسلامية إلى سابق عظمتها وبأسها اللذين كانت عليهما أيام عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني والمنصور، ومع ذلك فقد كانت الظروف جدّ مواتية؛ فقد وقعت إسبانيا النصرانية عقب موت ألفونس السادس سنة 1109م فريسة للفوضى التي ظلّت تتناهبها ردحًا طويلًا من الزمن، وغشيتها الحرب الأهلية، إلا أن المرابطين لم ينتفعوا بتلك الظروف المتاحة لهم؛ فقد ضاعت سُدًى جميع محاولاتهم في سبيل استرجاع طليطلة، ومع أنهم استطاعوا الاستيلاء

(1) نفسه- ج3 ص144-145.

على بعض مدن كانت دون طليطلة أهمية إلا أن النجاح الذي أصابوه لم يكن يعادله سوى ضياع سرقسطة من أيديهم سنة 1118م"[1].

ويقول عن حال المرابطين أيّام علي بن يوسف: "ظلّ الشعب الأندلسي ينعم بالرخاء مدة سنوات قلائل، وذلك بفضل الثورة التي تحمّس في الترحيب بها، ثم ابتُلي بعدئذ بحكومة ضعيفة منحلة، وزمرة من الجند الضعاف السفاكين الذين لا يخضعون للنظام، كما ابتُلي بشرطة فاسدة، يدلّ على ذلك كثرة اللصوص بالقرى، كما تعددت غارات قطّاع الطرق على الريف؛ فشُلّت الحركة التجارية، وركدت الصناعة، وارتفعت أسعار الأقوات حتى لقد أدّت الحال إلى ما يشبه المجاعة، ونكبت البلاد بكثرة الغزوات التي لم يُر لها مثيل من قبل، والتي أخذت تزداد للأسف يومًا بعد يوم؛ فتلاشت الآمال، وراح الناس يصبّون اللعنات على أولئك المرابطين بعد أن كانوا يعدونهم المنقذين لبلادهم ولملتهم، وأخذ أهل قرطبة منذ سنة 1121م في التمرد على الجند الموكول إليهم حماية المدينة لارتكابهم شتى ضروب المظالم من دون أن تتدخل الحكومة فتضرب على أيديهم حتى يكفوا عما هم بسبيله، وطرد القرطبيون هؤلاء المتبربرين ونهبوا مساكنهم، وإذ ذاك جاء الملك علي إلى الأندلس بحشد كثيف من أهل إفريقية، وكان من الضخامة بالصورة التي لم يسبق لشواطئ إسبانيا أن رأت لها قط مثيلًا من قبل، غير أن كيل الغضب كان قد طفح عند القرطبيين؛ فأجمعوا العزم على الاستبسال في الدفاع عن أنفسهم استبسالًا دفعهم إليه اليأس؛

(1) نفسه- ج3 ص165.

فأغلقوا أبواب المدينة، وأقاموا المتاريس بالشوارع، إلا أن الجانبين لم يكونا متكافئين مما دعا الفقهاء للتدخل لحقن الدماء والحيلولة دون إهراقها، وعلى الرغم مما طبع عليه الفقهاء من أمور كانت تستنكر منهم إلا أنهم انضموا هذه المرة إلى جانب مواطنيهم، ووقفوا في وجه أصحاب البأس والسلطان، وأفتوا بأن ثورة أهل قرطبة إنما هي ثورة عادلة يُقرّها الشّرع، وبرّروا عمل أهلها بأنهم لم يمتشقوا السلاح إلا دفاعًا عمّا يملكون، وذبًّا عن حرماتهم وحياتهم، وقد أقرّ علي كما هي العادة وجهة نظر الفقهاء، وجرت مفاوضات طويلة انتهت برضاء القرطبيين بدفع ديّة عمّا نهبوه وحطّموه"[1].

وعلق دوزي على الوجود المرابطي في الأندلس فقال: "إننا لم نذكر تاريخ هذه الثورة ولا تاريخ فتح الأندلس على يد الموحدين الذين حلّوا محلّ المرابطين في بلاد مراكش، وذلك لأن المحاولة التي وضعناها نصب أعيننا هي دراسة تاريخ الأندلس المحتلّة، ولو أننا تناولنا الحقبة التي كان فيها هذا القطر ولاية من ولايات دولة أخرى؛ فإننا بذلك؛ نكون قد جاوزنا الحدود المرسومة لموضوعنا، ونحن نفعل ذلك لأننا نعتقد أن واجبنا يتلخص في أنه ينبغي علينا أن نبين في جلاء كيف أن الأندلس لم تكن ناعمة البال حين احتلها المرابطون، وأنها راحت تندب أمراءها الذين افترت عليهم أشد الافتراء، وتخلّت عنهم وقت الخطر تخليا كان هو الخيانة"[2].

(1) نفسه- ج3 ص168.
(2) نفسه- ج3 ص169.

* كتاب **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**: ألّفه دوزي بين أعوام 1841- 1843م، ويتناول فيه الأزياء في جميع الأقطار العربية جميعها شرقيها وغربيها، ولكن هذه المواد تخصّ أكثر ما تخصّ الأندلس وأقطار المغرب العربي ومصر.

يقول دوزي في مقدمة كتابه: "وإنني إذ أتحدث عن معجم عربي أعني بذلك قاموسًا يأخذ على عاتقه- إلى جانب اهتمامه بكل ما لديه من طاقة بالمعنى الدقيق الذي كانت تعنيه كل كلمة لدى نشأتها- مهمة جعلتنا نعلم بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التي تلقتها كل كلمة في الجزيرة العربية وفي فارس وفي سورية وفي أفريقيا إلخ...، وأخيرًا نناشد هذا القاموس أن يكشف لنا عن كل المعاني التي عبرت عنها الكلمات في جميع الأقطار التي تألفت منها هذه الإمبراطورية العربية المترامية الأطراف، التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا.

وإنني أتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي أنتظر منه أن يستند على الدوام إلى نصوص المؤلفين؛ فيخط لنا إن صحّ التعبير تاريخ كل كلمة وقصة كل جملة. هذا المعجم المفقود الذي يميز بوضوح وجلاء المعاني الخاصة لكل كلمة في قطر معين من الأقطار العربية، من المعاني التي كانت تعرف عنها الكلمة في قطر معين آخر: القاموس الذي يجب أن يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء من معناها الخاص لدى كتاب النثر، وختامًا إنني أحلم بالقاموس المنطوي على كل التعابير العلمية والفنية المشروحة شرحًا منهجيًا..."[1].

(1) رينهارت دوزي- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب- ترجمة أكرم فاضل- الدار العربية للموسوعات-بيروت-ط1- 1433هـ-2012-ص9-10.

قال دوزي في تعريف كلمة الأصدة، الأصيدة، المؤصَّد، المؤصدة: "يبدو أن هذه الكلمة لم تكن مستعملة إلا في العهود الإسلامية الأولى، وذلك لأن علماء أجلاء من العرب لم يكونوا يعرفون على وجه الضبط والدقة أي نوع من الملابس تدل عليه هذه الكلمة؛ فنحن نقرأ لدى ابن فارس (مجمل اللغة، مخـ485): ""الأصدة قميص صغير يلبسه الصبيان"، ونقرأ كذلك لدى الجوهري (مخـ85، ص192): "الأصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب"، قال الشاعر:

ومرهــك سال أمتاعا بأصدته لم يستعن وحوامي الموت تغشاه

ويضيف الجوهري: "وتلبسه أيضًا صغار الجواري، وتقول أصدته تأصيدًا.

قال كثيرًا:

وقد درّعوها وهي ذات مؤصـد مجوب ولما تلبس الدرع رئدها

ولا وجود لكلمة مؤصد في قاموس فريتاك، ولكننا نجد في القاموس: "الأصدة بالضم قميص قصير صغير للصغيرة أو يلبس تحت الثوب كالأصيدة والمؤصدة"، ويقول التبريزي في شرح الحماسة في معرض حديثه عن البقعة المسماة ذات الأصاد عن كلمة أصدة ما يلي: "فأما الأصدة فهي ثوب لم تتم خياطته، وقيل هي البقيرة، وقيل بل هي الصدرة"[1].

وقال دوزي في تعريف البِجاد: "إننا قارئون في الجوهري: "البجاد كساء مخطط من أكسية الأعراب، ومنه ذو البجادين واسمه عبد الله"،

(1) نفسه- ص48.

ونجد كذلك في القاموس: "وككتاب كساء مخطط، ومنه عبد الله ذو البجادين دليل"، ويقول كذلك التبريزي في شرحه للحماسة: "كساء مخطط من أكسية الأعراب"، (راجع كذلك أبا العلاء لدى ريسكه، ص62).

ولما كانت المعلومات التي أدلى بها العرب حول هذه الكلمة نزرة للغاية، ونظرًا لأني لم أصادف هذه الكلمة بذاتي في نص بوسعه أن يلقي ضوءًا أسطع على معنى هذه الكلمة الحقيقي؛ فليس في مقدوري أن أقول أكثر من أن الكلمة تعني كساء مخططًا من تلك الأكسية التي يرتديها الأعراب البداة، وأن عبد الله أبا الرسول كان يرتدي بجادين فسمي بذي البجادين"[1].

وقال في تعريف كلمة البَقير والبَقيرة: "نحن نقرأ لدى الجوهري (ج1 مخـ85- ص262): البقيرة الإتب، وهو قميص لا كمين له تلبسه النساء، ونقرأ نفس المعنى في القاموس (ط كلكتا- ص466): برد يشق فيلبس بلا كمين كالبقير"[2].

ويقول في تعريف التُبّان: "هذه الكلمة ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية تنبان التي تعني سراويل من الجلد يستعملها المصارعون؛ كما تعني سراويل من الكتان يرتديها الملاحون، وهذه الكلمة قد احتفظت بالمعنى الأخير أثناء مسراها إلى اللغة العربية، وإليكم ما يقوله الجوهري (ج2 مخـ85- ص343) حول هذه الكلمة: "والتبان بالضم والتشديد سراويل قصيرة مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقد يكون

(1) نفسه- ص55-56.
(2) نفسه- ص78.

للملاحين، وفي حديث عمار أنه صلى في تبان فقال: "إني ممثون"[1].

ويقول عن كلمة الجديل والجديلة: "حسب رأي الجوهري (ج2- مخ 85- 188) يدعى الوشاح في معظم الأحيان جديلًا، ويورد اللغوي بهذا الصدد بيتًا من الشعر نجده أيضًا في الحماسة (ص556)؛ حيث يقول التبـريزي: إن الجديــل مصنوع من قطع الجلد، وهذه القطع مبرومة على بعضها، وتستعملها الجواري والإماء فقط، ولا تستعملها النساء العربيات، أما رأي القاموس (ط كلكتا- ص1411) فهو أن "الجديلة شبه إتب من أدم يأتزر به الصبيان والحيضّ"، وإنني أشك كل الشكّ أن كلمة جديلة في هذا المعنى تعني نوعًا من الحزام، بل أرى أن الكلمة تشير إلى نوع من السراويل"[2].

ويقول عن كلمة الخِمار: "يبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة وافية لدى الجوهري والفيروزآبادي، وأنها لم تكن بحاجة إلى الشرح والتفسير، ولكن يجب أن أعترف لنحس طالعي أنني لم أقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره أن يشرحها لي شرحًا صحيحًا، لذلك ليس في طاقتي أن أخوض في أي حديث عن نوع البرقع أو الستر أو الحجاب أو القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة، وإذا لم أكن متوهمًا؛ فإن كلمة خمار لم يتطرق إليها المؤرخون العرب في عصر النويري والمقريزي ومن لفّ لفّهما، وأستطيع أن أتجرّأ فأقول مؤكّدًا عبث عملية التنقيب عنها في كتاب ألف ليلة وليلة.

---

(1) نفسه- ص86.

(2) نفسه- ص106.

وإنني غير واجدها كذلك في كتب الرحالين الأوروبيين الذي جاسوا خلال الشرق في مختلف الحقب، ويُخيل لي أن هذا النقاب كان مستعملًا في عهد جوليوس، لأن هذا العالم يؤكد أنه "برقع امرأة، وأنه يغطي مقدمة العنق، ويستر الذقن والفم، ويتعلق بقمة الرأس"، ولكن جوليوس لم يذكر لا طول ولا نوع قماش ولا لون هذا الستر؛ فمن التطويح بالأمانة العلمية أن نطبق على وصفه- الذي تعوزه الدقة- أقوال الرحّالين الذين زاروا الشرق وقت زيارة جوليوس له"[1].

ويقول في تعريق كلمة السبلة: "لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، وهي الثوب الأول من الثياب التي تتألف منها التزييرة؛ أي: الزيّ الذي تلبسه النساء في مصر فوق أثوابهن الأخرى حين يبرزن من منازلهن، ونحن نقرأ في وصف مصر (ج18 ص113): "السبلة قميص كبير من التفتا يغطي كافة الملابس"، إلا الحبرة والبرقع فهو يغطي جميع الملابس التي ترتديها النساء في البيوت، وتتدلى حتى الأرض، والنساء يلبسن السبلة عند خروجهن من دُورهن سواء رحن إلى الحمام أو قمن بزيارة، وهن لا يخلعنها إلا إذا رجعن لها لا سيما إذا كانت من علية القوم، ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون-ج1 ص61) أن هذا اللباس كساء واسع هفهاف، وأنه يسمى بالثوب فيساوي على وجه التقريب طوله بتمامه، وهو مصنوع من الحرير، ويكون عادة قرنفلي اللون، وقد يكون ذا لون وردي أو بلون البنفسج، وليس هناك أدنى ريب بأن هذه الكلمة مشتقة من فعل أسبل"[2].

---

(1) نفسه- ص150-151.

(2) نفسه- ص178.

ويقول عن كلمة الشال: "لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، والشال هو الكلمة الفارسية شال التي تسربت إلى عدة لغات أوروبيـة؛ فنحن نقرأ في بحث الكونت دي شبرول (وصف مصر- ج18 ص108): "الشال هو قطعة طويلة من الشاش الموصلي أو من النسيج الصوفي الذي يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش، ويتخذ الأثرياء هذا الشال من الكشمير"، ونحن نجد في كتاب برجهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين- ص28): أن "جميع نساء قبيلة رولة يضعن على رؤوسهن طرحًا من الحرير الأسود، تبلغ مساحة كل طرحة مترين مربعين، وهن يسمين هذه الطرحة شال قز، وهي تصنع في دمشق، وأعتقد أن جملة شال قز تعني شال قاسح أي الشال الكثيف أو الكثاف"[1].

ويقول عن كلمة العقال: "لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، ولكننـا نقرأ في أحد كتب برجهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين- ص27): أن أبناء قبيلة عنزة يحيطون عمرتهم المسماة موفية بحبل مصنوع من وبر البعير، ويدعى بالعقال بدلًا من العمامة"، ويقول فريزر كذلك في أسفار في كردستان وبلاد ما بين النهرين- ج1 ص228 بعد أن تحدث عن كوفية عرب بغداد: "إنهم يشدون حول قمة الرأس المغطـاة بهـذه الصورة وسيدة مصنوعة من وبر البعير البني اللون (A wisp of brown camels hair) المبروم جزئيًا"[2].

(1) نفسه- ص220.

(2) نفسه- ص271-272.

* كتاب: **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**: يقول دوزي عن هشام المؤيد: "وما زال على هذه الحال بضع سنين، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد إلى إسبانيا في سنة 1033م، ونزل مالقة، ثم تحوّل عنها إلى المرية فوصل إليها سنة 1035م؛ فاضطر الأمير زُهير إلى إبعاده خارج حدود مملكته؛ فرحل إلى قلعة رباح حيث ألقى بها عصا التسيار.

هذه الرواية التي صادفت رواجًا وقبولًا من الشعب لا تستحق- على ما يظهر- أن تنال شيئًا من الثقة، والذي وقع حقيقة هو أنه في العهد الذي كان فيه يحيى يهدد إشبيلية وقرطبة كان في قلعة رباح رجل حُصَري اسمه خلف يشبه الخليفة هشامًا الثاني تمام الشبه، ولكن لم يقم دليل على أنه هو بعينه، وقد نفى الأمويون شيعة هشام ومعهم ابن حيان وابن حزم المؤرخان ما دار حول هشام المزعوم من الروايات والأراجيف، وعدّوه ضربًا من الحيلة السياسية والخداع، وإن كان من مصلحتهم أن يهتدوا إلى مكان هشام إن استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

ولم يتردّد خَلف حين طرق سمعه كثيرًا أن شبيه هشام في أن يدّعي أنه هو نفسه الخليفة هشام الثاني، وقد جازت هذه الحيلة على أهالي قلعة رباح لأن خلفًا لم يكن معروف النسب عندهم، والأغرب من هذا أنهم دخلوا في طاعته، وثاروا على أميرهم إسماعيل بن دحمان ذي النون أمير طليطلة؛ فجاء وحاصرهم ولم تطل مدة مقاومتهم، وأخرج هشامًا المزعوم من المدينة فهدأ ثائر الأهالي، وعادوا إلى السكينة والخضوع"[1].

(1) رينهارت دوزي- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام- ترجمة كيلاني كامل- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة- ط1- 2012م- ص20.

وقال عن حاكم غرناطة باديس: "أخذ طاغية صنهاجة وجبّار غرناطة يُقوي نفوذه شيئًا فشيئًا إلى أن أصبح زعيم حزبه السياسي على رأس البربر، ولم يكن يعترف للخلافة الحمودية بمالقة إلا بمجرد السيادة الاسمية، وقد بلغ الحموديون الغاية في الضعف حتى جعلوا لوزرائهم السلطان عليهم، وكان بعضهم يعمد إلى إهلاك بعض إما بتجريد السلاح وإما بدسّ السمّ، وهم عوضًا أن يوجهوا نظرهم إلى أتباعهم من الأمراء البربر الأقوياء فيشدّوا بهم أزرهم كانوا يركنون إلى الدَّعة، ويرون السعادة كلّ السعادة في أن يظفروا بالحكم في مالقة وطنجة وسبتة، وإن فقدوا النفوذ في البلاد التي تخطب باسمهم على المنابر.

وكان ثمة خلاف كبير بين بلاطي غرناطة ومالقة؛ ففي غرناطة كان البربر وعلى رأسهم باديس ووزيره إسماعيل يعملون لصالحهم وهم على وفاق تام في الخطط ووجهات النظر، وفي مالقة كان الأمر على النقيض من ذلك لوجود الصقالبة الذين تتنافر مصالحهم مع مصالح البربر، هذا إلى ما وقع للصقالبة أنفسهم من التحاسد والتطاحن، واستعانة بعضهم على بعض بأعدائهم من النصارى، وهذه العوامل بعينها هي التي كانت سببًا في سقوط الدولة الأموية"[1].

وقال عن الخليفة إدريس بن على بن حمود: "ومما يؤسف له نظرًا لمركز الخلافة وأمن الدولة أن إدريس كان يضم إلى سماحة النفس وطيب القلب وصفًا آخر هو التناهي في الضعف والمواتاة والاستسلام؛ ففي استطاعته أن يوافق ويسلم بكل ما يراد، ويطلب منه كائنًا ما كان؛

(1) نفسه- ص41.

فلو أن أميرًا من الأمراء الذين يستظلون بحكمه كباديس وغيره طلب إليه أن ينزل له عن قصر الخلافة، أو يهبه أي أمر آخر لفعل، وقد حدث أن باديس بعث إليه مُلِحًّا أن يرسل وزيره، ويُمكِّنه من التنكيل به لضغينة في نفسه؛ فصرّح إدريس لوزيره الذي يحقد عليه باديس أنه كاتبه في شأنه، وطلب أن يسلمه إليه، وأنه لا بدّ فاعل؛ حيث لا يستطيع أن يرفض طلبه؛ فأذعن الوزير لحكمه، ولم يشفع له عند إدريس أنه الخادم الأمين القديم لأسرته، وقال: لك يا مولاي أن تفعل ما يريده هذا الطاغية، وعليَّ أن أستسلم لما يأتي به القضاء، وما يخبئُه لي القدر، وسترى أني ملاق حتفي غدًا، وسأقابله باستسلام ورباطة جأش وقدم ثابتة، وقضي الأمر، ووصل وزير إدريس إلى غرناطة حضرة مملكة باديس؛ فأمر به في الحال؛ فضُربت عنقه، وكان هذا الضعف الظاهر من إدريس مما أحفظ عليه البربر وأوغر صدورهم، كما أغضبهم من قبل لينه المفرط، وعطفه الذي كان يبديه للشعب بنزعاته الاشتراكية، بهذا تحرّجت الحالة، وانطوت قلوب البربر على بغض هذا الخليفة الضعيف المستسلم وكراهته"[1].

يقول دوزي مُقارنًا بين مَلِكَيْ غرناطة وإشبيلية: "فبين باديس إذن وبين المعتضد من البون الشاسع في الفساد ما يفصل بين الفاسد المتبربر الخشن والفاسد المتحضّر الظريف، ولكن مما يجب الاعتراف به هنا أن البربري كان أقل من زميله فسادًا وخُبث نفس؛ فقد كان باديس في جرائمه وشناعته على جانب من النزاهة والصراحة، بينما عينه المتفرّسة الباحثة تتحسّس الأفكار الخفية في نفس غيره، وتتبحثّها لتكشف عن مكنوناتها من دون أن يظهر ذلك في معارف وجهه أو نبرات صوته.

(1) نفسه- ص44-45.

ولم يمت ملك غرناطة في فراشه بل طاح في ساحة القتال، أما ملك إشبيلية فقد كان- على خوضه غمار كثير من المعارك والحروب- دونه شجاعة وبسالة؛ لأنه لم يتولّ بنفسه قيادة الجيش في هذه الحروب سوى مرة أو مرتين في حياته، وكان من دأبه أن يضع الخطط الحربية للمعارك، ويدع تنفيذها لقواده، وهو مُنزوٍ في خبائه بعيدًا عن خطوط القتال كما روى ذلك بعض مؤرخي العرب.

وكانت حيل باديس في النكاية بأعدائه جافة سقيمة مما يجعل إحباطها بسرعة ميسورًا وسهلًا، أما حيل المعتضد فكانت دقيقة ليّنة يمسّ المخدوع منها في لينها ما يمس من ظهر الحية الرقطاء تحت أنيابها السم ناقع، ولهذا كان يندر فشلها، ويصعب إحباطها، وجانب الدهاء وسعة الحيلة من الجوانب القوية في المعتضد"[1].

وقال عن قساوة المُعتضد بن عبّاد: "مضت على ذلك ستة أشهر دعا المعتضد بعد انقضائها أمير رُندة وابن مرين إلى مأدبة فاخرة أدّبها لهم، زعم أنها اعتراف منه بجميل إكرامهما وحسن استقبالهما له، وكذلك دعا من البربر ابن خزرون وأميري أركش وشريش؛ فبادر الأمراء ثلاثتهم إلى إجابة الدعوة، ووصلوا إلى إشبيلية فاستقبلهم المعتضد بحفاوة بالغة، وأعدّ لهم أسباب النعيم والراحة، وبعد أن ألقوا عنهم وعثاء السفر دعاهم وأكابر أتباعهم إلى الاستحمام بحمّامه، وانتحل سببًا لإبقاء مُعاذ الشاب معه، وكانوا نحو ستين من البربر دخلوا الحمّام الذي أُعِدّ لاستحمامهم، وبعد أن تجردوا من ملابسهم في الباب الأول، تطرّقوا إلى باب الحمّام نفسه وهو مماثل لما يوجد الآن من نظائره في البلاد الإسلامية، مغطاة أرضه وجدرانه بالرخام الملون، مكسوة قبابه

(1) نفسه- ص50-51.

بأنصاف كرات جوفاء من زجاج غير صقيل لإرساء الضوء إلى أسفل، في وسطه نافورة تمجّ الماء إلى أعلى، وفي جوانبه مغاطس مملوءة بالماء الساخن، وصنابير بارزة في الجدران، بعضها يصبّ منه ماء بارد، وبعضها متصل بمرجل الحمام يصبّ منه ماء ساخن قد وصل إلى درجة الغليان.

وبينما المُستحِمّون يلتذّون بهذا النعيم الذي هيأ لهم أسبابه المعتضد؛ إذ شعروا بحركة خفيفة غير عادية ظنّوها حركة بنّائين أو وقّادين منصرفين إلى عملهم؛ فلم يعيروها اهتمامهم أول وهلة، ثم صارت الحرارة بعد برهة قليلة تتزايد إلى أن شعروا بالدوار وأحسّوا بالضيق؛ فتلمّسوا الباب يفتحونه؛ فوجدوه محكم الارتجاء وكأنما بُني عليهم من خلف، ولم يلبثوا إلا قليلًا حتى ماتوا جميعًا نتيجة الاختناق"[1].

وقال عن تزايد نفوذ اليهود في مملكة بني زيري بغرناطة: "... إن نفوذ اليهود في بلاط غرناطة قد بلغ النهاية ؛ فإنه بعد أن مات إسماعيل خلفه ولده يوسف الذي عُني أبوه في حياته بتعليمه كثيرًا من العلوم، وأعدّه إعدادًا تامًّا للقيام بأعباء الوزارة بعد، وقد اضطلع بمنصب كبير الوزراء في الدولة، ولديه كل المؤهلات العلمية والتثقيفية، إلا أنه كان يعوزه لين الجانب والتواضع الذي كان يُكسب والده مع سمو المركز صفح الأمير ورضا الجميع عنه، ولم يكن يوسف على شاكلة أبيه من هذه الناحية، بل كان يظهر بمظهر أميره باديس ممتطيًا جواده إلى جانبه، وركابه بإزاء ركابه، وشارته في اللبس كشارته؛ حتى أن الناظر إليهما لا يفرق بين الأمير ووزيره.

بل لقد كان يوسف في الحقيقة ملكًا فوق الملك، وكان هو المسيطر المتسلط على باديس لعكوفه على شرابه، وانغماسه في لهوه وبطالته، ولكي

(1) نفسه- ص63-64.

يستمر نفوذه وسلطانه على المملكة كان قد أحاط باديس بجواسيس وعيون من نساء وفتيان قصره، استغلهم بالمال، وغمرهم بالإحسان؛ فلا يكاد باديس ينبس أو يتنفس إلا وهو يعلم ذلك.

وذهب كثير من الناس إلى أنه لم يكن على دين آبائه وأجداده، وأنه كان مستهترًا يحتقر الأديان جميعها، وقالوا: إنه لم يكن يهوديًا إلا بالاسم فقط، وكان في حملاته على الدين الموسوي لا يكاد يصرّح بالطعن، أما الدين المحمدي فكان يجهر بالبغض منه، ويعيب أحكامه، هذا إلى أنه كان يحرّف كثيرًا من آيات القرآن، يُضاف إلى ذلك أنه أساء إلى العرب والبربر بل اليهود، وجرح كرامة الجميع بكبريائه وترفّعه وإعجابه وزهوه، وآرائه اللادينية وقلة إنصافه، وعدم رعايته للعدل، وحام حوله كثير من الشبه والظنون، وأصبحت تعزى إليه تهم ، وتُذاع مخازٍ وفضائح"[1].

وقال دوزي عن المعتمد بن عباد: "ونحن ولو حاولنا أن نقارن بين المعتمد وغيره لرأيناه أقوى ملوك الطوائف، وأكثرهم نفوذًا وامتدادً سلطان، ولكنه مع هذا لم يكن أكثر منهم استقلالًا؛ إذ كان هو عليه أيضًا أن يؤدي الإتاوة؛ فأما أولًا فكان يدفعها لغرسية ثالث أولاد فرديناند، وأما ثانيًا فكان يدفعها لملك غاليسيا، وأما ثالثًا فكان يدفعها للأذفونش السادس، من حين أن استولى على مملكة الشقيقين سانكو وغرسية، وكان الأذفونش ملكًا مزعجًا متعبًا في طلب الإتاوة، لأنه هو لا يقنع بما يتقاضاه من إتاوة سنوية فحسب بل كان في الفينة بعد الفينة يفرض ضرائب على الممالك التي يدفع لها أبناء ملوك العرب جزية؛ فإن لم يؤدوها وإلا هددهم بالاستيلاء على بلادهم"[2].

(1) نفسه- ص76-77.

(2) نفسه- ص107-108.

*كتاب **نظرات في الإسلام**: يقول دوزي عن ديانة العرب: "إنني على إجلالي وتقديري لما قام به بعض الباحثين الذين تصدّوا للكلام عن ديانة العرب القديمة وأصل الإسلام، وعلى إعجابي بفطنتهم واجتهادهم أقرّر ولا أرى بُدًّا من المصارحة أن هذه البحوث الطريفة لا تكفيني قط؛ لأنها لم تستطع أن توضح هذه الأمور أكثر من قبل؛ لذلك رأيتني مضطرًا إلى إعادة البحث من جديد سالكًا طريقًا أخرى مخالفة لما نهجه غيري من الباحثين إلى اليوم، وقد وصلت إلى نتيجة، أنا أول المندهشين لها، وليس في وسعي أن أسردها في بضع صفحات، إلا أنها في جوهرها وأساسها مرتبطة بعدة نتائج أخرى لها خطرها وأهميتها، ولما كانت نتائج بحوثي مناقضة على طول الخط لكل الآراء السائدة إلى اليوم لغرابتها عنها، والعلم يقضي على الإنسان، ألا يلقي للناس قضايا مسلمة لا يدعمها برهان، ولا تقوم على أساس متين من الحجج العلمية الناهضة والأدلة الصحيحة المستقاة من مصادرها الأصلية"[1].

يقول عن ديانة العرب الأولى: "كان العرب يؤمنون بكائن أعلى، ويعتقدون أن له ذاتًا لا كذواتهم وأنه محيط بالعالم وما يحويه من كائنات، وإن اختلفت حظوظها من الطاعة والعصيان، وكانوا يدينون بأنه خالق السماوات والأرض، وأنه الذات المنزهة التي لا حدّ لحكمتها، ولا يمارون في مُدبّر العالم، وأنه هو الذي يرسل عليهم المطر من السماء: كانوا يعتقدون هذا، ويعتقدون أيضًا أن ليس له كهّان ولا هياكل كتلك التي خصّوا بها أوثانهم"[2].

ويختم كلامه قائلًا: "وخلاصة القول إن الديانة كانت في نظر العربي القديم كما هي في نظر البدو في أيامنا هذه أمر لا خطر له، وآية ذلك أن شعراء الجاهلية لا نكاد نراهم يذكرون دينًا أو عقيدة في أشعارهم، ولو فتشنا

(1) نفسه- ص228-229.

(2) نفسه- ص230.

أناشيدهم لم نر فيها إذا استثنينا أسماء الآلهة وبعض الشعائر المختلفة إلا عبارات مقتضبة لا تكاد تعثر فيها على ذكر لعبادتهم القديمة، لقد عاش العرب للحياة الحاضرة، ولم يشغلوا أذهانهم بشيء من مسائل وراء الطبيعة، وكان مؤمنوهم يتابعونهم في ذلك الشعور ويصدرون عنه"[1].

وقال عن حروب الردة: "وهكذا انتهت حروب الردة، ولم تقم للمرتدين بعدها قائمة؛ فقد كان عقاب الردة القتل، وهنا تظاهر الناس بالإسلام، ووقفوا عند هذا الحدّ، ونحن، إذا استثنينا صفوة المسلمين، ونواتهم المؤلفة من المهاجرين والأنصار وبعض من يمتون إليهم بسبب، لم نجد بعد ذلك من يعرف القرآن وتعاليمه إلا عددًا غاية في القلة، أما العرب الذين استوطنوا إفريقية فقد ظلوا حتى بعد مُضيّ قرن من الهجرة لا يعرفون من الإسلام أكثر من أنه دين أتى بتحريم الخمر، أما أولئك الذين استوطنوا مصر فإنهم ما تحدثوا عن الإسلام أو شغلوا به أنفسهم قط، وكانوا لا يذكرون إلا أيام الوثنية وعهودها الطيبة بالثناء والحنين"[2].

وقال عن بداية الفتنة الكبرى: "ولقد كانت تقوم المنازعات بين الشعب على مسألة من المسائل، ظاهرُ أمرها أنها شخصية لا علاقة لها بمبدأ أو عقيدة، وهي في حقيقتها وجوهرها غير ذلك؛ فقد كان يتخذ النزاع غرضًا يحوم حوله، ومبدأ يناضل عنه ليتخذ منه تكأة يبرر بها غايته من الشغب.

وقد بدأ ذلك بحادث عثمان ثالث الخلفاء حين تولى الخلافة بعد وفاة عمر (644م)، وكانت سنّ عثمان حينئذ سبعين عامًا، وكان حليمًا ليّن العَريكَة، ضعيف الإرادة أمام أسرته وأعيان مكة وسراتها ورجال بني أمية؛ أي: أنه كان ضعيف الإرادة أمام كل من ناصبوا محمدًا العداء

(1) نفسه- ص237.

(2) نفسه- ص246.

عشرين عامًا ثم أسلموا؛ فكان في إسلامهم مجال واسع للظنون والحذر، ولقد نالوا بفضل عثمان أرفع المناصب، وانتهت المأساة الكبرى بقتل خليفتهم الشيخ المسنّ عثمان.

ثم ولي الخلافة بعده علي ابن عم محمد، ولكن لم يتم الاعتراف به في كل مكان؛ فقد هبّت سوريا متحمسة إلى امتشاق الحسام، وعلى رأسها واليها معاوية بن أبي سفيان، وكان انتصاره حينئذ هو انتصار جمهرة المعادين للإسلام، الذين كانوا يناوئونه من صميم قلوبهم"[1].

ويقول عن العهد الأموي: "ولم يكن عهد الأمويين إلا عهدًا تتمثل فيه الرجعية والانتصار للوثنية، وكان خلفاء بني أمية أنفسهم إلا القليل النادر منهم لا يُعْنَون بنُصرة هذا الدين ولا يخلصون له، وقد تجاوز الوليد الثاني وهو أحد هؤلاء الخلفاء كل حدّ في الإزراء بهذا الدين، وطوّح به استهتاره إلى أبعد مدى؛ فاعتاض عن صلاة الجماعة بصلات جواريه ومُغازلة سراريه، ولم يحجم عن تخريق كتاب الله بالنشّاب، ولم يكن راضيًا عن إسلام الشعوب الجديدة التي دخلت في هذا الدين أفواجًا من سوريين وأقباط وفرس وبربر شمال إفريقيا؛ لأنه كان يرى في ذلك شرًّا مستطيرًا على خزانة الدولة؛ فقد كان القانون يفرض الضرائب على غير المسلمين الذين يعيشون في ظل الحكم الإسلامي؛ فإذا أسلموا سقطت عنهم الجزية، وأعفوا من أداء تلك الضريبة التي فرضها عليهم القانون، وقد ساعد ذلك على انتشار الإسلام، وشجّع الناس على الدخول في هذا الدين، وتغلبت المصلحة على العقيدة، ودان بالإسلام ملايين من الناس الذين آثروا المال على كل شيء"[2].

---

(1) نفسه- ص247.

(2) نفسه- ص252.

* كتاب **"تكملة المعاجم العربية**: قال دوزي في مقدمة كتابه: "إن اللغة العربية الفصحى لغة الشعر القديم ولغة القرآن والحديث لم تعش إلا نحوًا من مائتي سنة؛ ففي نهاية القرن الأول الهجري، وقبل أن يكون للعرب أدب جديد أصاب اللغة كثير من التغيير...، وقد كان هذا نتيجة الفتوحات السريعة...؛ فلم تبق العربية لغة العرب وحدهم، وإنما أصبحت لغة البلدان المفتوحة، وقد كان لمخالطة الشعوب المغلوبة التي بدأت تتكلم اللغة العربية وتلحن في كلامها أثر في العرب أنفسهم؛ فقد أهملوا إعراب الكلام، واستعملوا الكلمات بمعان محرّفة عن معانيها، واستعاروا من الشعوب المغلوبة من أهل الشام ومن الفرس ومن الأقباط والبربر والإسبان والأتراك كثيرًا من الألفاظ والعبارات، إن هذا الاختلاط لم يكن السبب الوحيد بل لم يكن السبب الرئيس لتغير اللغة، وإنما يجب أن نفتش عنه في الحالة الجديدة التي صار إليها الفاتحون أنفسهم، لقد كانوا قبل الفتح بدوًا أو سكان القرى الصغيرة يحيون حياة بسيطة؛ فوجدوا أنفسهم بعد الفتح قد انتقلوا إلى عالم كل شيء فيه جديد...، ولم يمض عليهم غير قليل... حتى أخذوا يتعلمون من رعاياهم الجدد؛ فبدؤوا يدرسون بحماسة وشوق الفنون والعلوم التي كانت غريبة عنهم؛ فحدث تغيير كامل في أفكارهم وفي عاداتهم، وكان لا بد أن تتأثر لغتهم...، لقد افتقرت لغتهم من ناحية واغتنت من ناحية أخرى...، وقد وضعوا مقابل ذلك- تساعدهم عبقرية لغتهم- ألفاظًا جديدة للتعبير عن الأشياء والأفكار التي كانوا يجهلونها من قبل، أو غيّروا في معاني الكلمات القديمة...، ثم تجزأت الإمبراطورية العربية، وقد ساعد

هذا التجزُّؤ من غير شكّ على الإسراع في نشوء اللهجات المحلية حتى أصبح لكل إقليم لغته الخاصة"[1].

يقول دوزي عن موقف علماء اللغة: "ولم يحصل هذا التغيير من دون أن يُلاقي مقاومة عنيفة من الحريصين على صفاء اللغة وصحّتها، وأعني بهـــم النُّحّاة واللغويين والمتكلّمين والفقهاء، الذين لم يقبلوا أن يُدرِّسوا لغة أخرى غير اللغة الفصحى، إنهم وقد أنكروا طبيعة الأشياء ولم يفهموا ولم يريدوا أن يفهموا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغير، وأن اللغات تتغير بمثل ما تتغير الأفكار، وأنها تخضع لسلطان المجتمع الذي يتكلمها، وأثر الكُتّاب الذين يصطنعونها، أقول: إنهم أرادوا أن تبقى العربية كما هي فلا تتغير، وأن تخلد لغة كتاب الله...، ولكي يحولوا دون فساد اللغة...؛ أكثروا من وضع القواعد وتأليف المعاجم، وكتابة الرسائل اللاذعة جرحوا فيها الأغلاط الشائعة...، وأرشدوا إلى ما يقال وما لا يُقال"[2].

وعن دوافع تأليف هذا الكتاب يقول دوزي: "وقد دفعتني هذه الاعتبارات بل جرّأتني فرأيت أنّني قد أخرج مصنفًا مفيدًا إذا ما رتبت تعليقاتي اللغوية ونسّقتها ونشرتها، وهي تعليقات جمعتها أثناء قراءاتي طوال أكثر من ثلاثين سنة، وعلى الرغم من ثقتي بأنني لن أوفق في تصنيف معجم يتّسم بالكمال؛ فقد قمت بتصنيف هذا المعجم، وأنني

(1) رينهارت دوزي- تكملة المعاجم العربية- نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي- دار الرشيد للنشر- بغداد- 1980- ج1 ص13.
(2) نفسه- ج1 ص13-14.

في كثير من المواضيع التي وجدت أن من الأفضل التوسع فيها، قد تركت ذلك حين رأيت أن فرايتاج[1] أو أن لين[2] قد أحسنا شرحها إلا فيما ندر، مُحاولًا أن أكمل ما جاء فيهما مستمدًا [ذلك] من مصادر عديدة قد أشرت إليها"[3].

(1) فرايتاج: هو جورج ولهلهم فرايتاج (Georg Wilhelm Freytag) (1788-1861)، عين أستاذا في جامعة بون، من مؤلفاته المعجم العربي اللاتيني في أربعة أجزاء، للمزيد عنه انظر نجيب العقيقي- المستشرقون- ص697-698.

(2) لين: هو إدوارد وليم لين (Edward William LANE) (1801-1876)، مستشرق إنجليزي كبير اشتهر خصوصًا بمعجمه الكبير للغة العربية الذي سماه "مد القاموس"(An Arabic-English Lexicon)، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين- دار العلم للملايين- بيروت- ط3- 1993- ص523- 526.

(3) دوزي- نفس المرجع- ج1 ص17.

مختارات من "تكملة المعاجم العربية":

- **"إبريق:** وعاء من خزف أو معدن له عنق طويل وعروة وبلبل، وهو الإبريق ذو العروة (بوشر، بركهارت عرب 1: 76 ونوية 358، لين عادات مصر 1: 212 و2: 22)، ويوجد ضرب منه يسمى إبريق الفقير، ووعاء ذو عروة يستخدم لغلي الماء (غلاية) (بوشر)، وإبريق القهوة: دلة (بوشر)، وإبريق الشاي: وعاء يستحضر فيه شراب الشاي (قوري) (بوشر)"[1].
- **"أبلاية (بالإسبانية (Playa):** شاطئ البحر، سيف البحر؛ ففي الإدريسي 5 القسم الثاني: ومنه إلى حلق وادي جلاح (حلاج) 12 ميلا، وهو على أبلاية مكشوف، ولا يحمل المراكب الكثيرة (الكبيرة)، ومنه إلى موقع نهر قبوه 6 أميال، وهو أبلاية أيضًا لا يستر (لا ستر فيه)"[2].
- **"أبو لبون:** ولد الناقة في سنّي رضاعة اللبن من أمّه (براكس مجلة ش ج5: 218)، ويقول دافيدسون (ص92): إنه الجمل في سنته الثالثة، غير أن براكس يقول: إنّ ولد الناقة يفطم حين يتم سنته الأولى"[3].

---

(1) نفسه- ج1 ص67.

(2) نفسه- ج1 ص68.

(3) نفسه- ج1 ص77، ويعلق المحقق على ذلك قائلًا: وصواب الكلمة ابن لبون لا أبو لبون ففي دافيدسون وصوابها أن تقرأ ابن اللبون، وفي القاموس ابن اللبون ولد الناقة إذا كان في العام الثاني واستكمله أو إذا دخل في الثالث- هامش 49 ج1 ص77.

ت- مختارات مما كتب عنه من قبل باحثين معتبرين:

اختلف الباحثون في تصنيف دوزي؛ فمنهم من رآه من المستشرقين المعتدلين الوسطيين كنجيب العقيقي وقاسم السامرّائي[1]، أمّا حسن حبشي فإنّه يرى أنّ أعمال دوزي من أبحاث ودراسات ونقود ومحاضرات علمية في مختلف الميادين تجعل منه العالم الألمعي والباحث اللّوذعي البعيد عن التعصّب إلاّ للعلم الصحيح؛ فقد كان يعنيه أن يخلّف من بعده تراثًا غير مغموز، وكان له ما أراد، وحسبه هذا من ثواب لا يبلى، ولا ينفد[2].

* **الأستاذ مصطفى الشكعة**: يعتبرُ دوزي من المستشرقين الذين وقفوا من الإسلام موقفًا عدائيًا من دون تحفظ، ويرى أنّه أشدّ هؤلاء جميعًا حقدًا على الإسلام وحملة على المسلمين[3]؛ فعلى الرغم من تنظيم منهجه في التاريخ؛ فقد كان المحتوى مُفْعمًا بالأحكام الظالمة التي كان يصدرها سلفًا، مليئًا بالقرارات الخاطئة التي يبنيها على افتراضات اختلقها هو وليس على سند تاريخي معروف، ويرى أنّ سبب كراهية دوزي للإسلام مردّها إلى أنّه كان مريض التكوين حاقدًا على تلك

---

(1) العقيقي- المرجع السابق- ج2 ص309/ قاسم السّامرّائي- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية- دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع- الرياض- ط1 - 1403هـ/ 1983م- ص104.

(2) رينهارت دوزي- المسلمون في الأندلس- مقدمة الترجمة العربية- ص15.

(3) مصطفى الشكعة- بحث "مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس" ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- إدارة الثقافة- 1985- ج2 ص280.

الحضارة الوافدة من غير بلاده؛ فكانت سببًا في رقيّهم وتقدّمهم[1]، ويمكن أن نستشفّ ذلك من رأي دوزي في القسّ إيزدور الباجي، الذي قال عنه: "غير أنّ كراهيته للفاتحين تتلخّص في أنّه يراهم رجالًا من غير جنسه أكثر ممّا يكره فيهم أنّهم على دين غير دينه"[2]، وكأنّي بدوزي يتكلّم عن نفسه.

ومن بين الأدلّة التي يسوقها الشكعة على ذلك قوله: "لقد تجلّى فساد الرّأي عند دوزي في أمور كثيرة أهمّها تعصّبه لملوك الطوائف، وامتداحه لهم خاصّة بني عبّاد في إشبيلية، والحملة على المرابطين، ووصفهم بكلّ شائن من النّعوت وكلّ كريه من الأوصاف، مع أنّ من قرأ تاريخ الأندلس برويّة يعرف أنّ دولة الإسلام فيه بدأت تزول بتنازع هؤلاء الملوك، وأنّ شوكة الإسلام عادت لتقوى فيه حين وفد المرابطون إليه عابرين المضيق، مُحرّرين الأرض، ضاربين على أيدي ملوك الطوائف، عائدين بالأندلس مرّة أخرى إلى وحدة الأرض والنّاس"[3].

ويضيف قائلًا: "إن هناك بعض المستشرقين المنصفين، ولكن عدد هؤلاء قليل لا يكاد يتجاوز عدد أصابع اليدين إذا ما قورن بالعشرات الذين ناصبوا الإسلام العداء، وكرسوا جهودهم لتشويه وجهه وتزوير حقائقه، وتزييف أخباره وإنكار أفضاله، والتجنّي على رجاله[4].

---

(1) مصطفى الشكعة- المرجع السابق- ج2- ص280.

(2) R.DOZY, Histoire des Musulmans d'Espagne, P.42.

(3) الشكعة- المرجع نفسه- ج2- ص280.

(4) الشكعة- نفس المرجع- ج2 ص278.

ذلك ما كان من حال التيار السائد بين المستشرقين عامة؛ فإذا ما كان الاستشراق متعلقًا بالأندلس وجنوب أوروبا وجدنا الأمر مختلفًا بعض الشيء، والمواقف متعارضة في كثير من الحالات والأفكار متباينة في عدد غير قليل من الموضوعات بمعنى أن المستشرقين المشتغلين بالأندلس والإسبانيين منهم بصفة خاصة ينطلقون من مبدأين مختلفين، ومن ثم كانا فريقين متنازعين على الرغم من اتفاقهما أو اختلافهما حيال الأحداث التاريخية والمواقف الفكرية والأركان الحضارية في النطاق الإسلامي العام من جهة وفي المحيط الأندلسي الإسلامي الخاص من جهة أخرى؛ ففريق يرى أن فترة وجود الإسلام مدة ثمانية قرون في إسبانيا تشكل حقبة مهمة لا سبيل إلى تجاهلها في تاريخ شبه جزيرة إيبيريا. يستمسك جماعة من هذا الفريق بالنقاء العلمي، وتقرر أن إسبانيا من دون احتساب المرحلة الإسلامية تُعد دولة عاطلة عن الأمجاد التاريخية ولذلك فإن هذه الجماعة على صغر حجمها تسير في خط أقرب إلى الحياد وأدنى إلى النصفة، وعلى رأسهم مدرسة بني كوديرا (فرانسيكو كوديرا 1836–1917) وتلامذته ومنهم آسين بلاثيوس (1871–1944) وخوليان ريبيرا (1858–1934) وأنخل جنثالث بالنثيا (1899–1949) وجارثيا جومث (1905–1995)، وأما الفريق الثاني فيقف من الإسلام موقفًا عدائيًا من دون تحفظ، ولا يرى أنه يمثل حقبة ذات اعتبار في تاريخ الأمة الإسلامية، وإنما يراه استعمارًا لشعب واغتصابًا لأرض، ويتوسل هذا الفريق بمختلف الأسباب ويفتعل كل المبررات، ويختلق عديدًا من الأحداث مهما خالفت ثوابت التاريخ وبديهياته لإثبات ما ذهب إليه، وهو للأسف الشديد كثير العدد عالي

الصوت شديد الجلبة، وأشهرهم من غير الإسبان وأشدهم عداوة للإسلام المستشرق الهولندي رينهارت دوزي[1].

وكان أشد هؤلاء جميعًا حقدًا على الإسلام وحملة على المسلمين رينهارت دوزي، ومن العجب أن دوزي لم يكن إسبانيًّا وإنما كان هولنديًّا، وعلى الرغم من تنظيم منهجه في التاريخ؛ فقد كان المحتوى مُفعمًا بالأحكام الظالمة التي كان يصدرها سلفًا، مليئًا بالقرارات الخاطئة التي يبنيها على افتراضات اختلقها هو وليس على سند تاريخي معروف، والرأي السائد أن كراهية دوزي للإسلام نبعت من كونه ملحدًا يكره الكنيسة ورجالها؛ فانسحبت كراهيته على الإسلام، ونحن من جانبنا لا نميل إلى هذا الرأي؛ فالذي يكره المسيحية ليس مضطرًّا بالضرورة أن يكره بقية الأديان، ولكن الحقيقة هي أن الرجل كان مريض التكوين حاقدًا على تلك الحضارة الوافدة من غير بلاده، فكانت سببا في رقيهم وتقدمهم.

لقد تجلى فساد الرأي عند دوزي في أمور كثيرة أهمها تعصبه لملوك الطوائف وامتداحه لهم، وبخاصة بنو عباد في إشبيلية، والحملة على المرابطين، ووصفهم بكل شائن من النعوت وكل كريه من الأوصاف؛ مع أن من قرأ تاريخ الأندلس بروية وإقساط يعرف أن دولة الإسلام فيه بدأت تزول بتنازع هؤلاء الملوك، وأن شوكة الإسلام عادت لتقوى فيه حين وفد المرابطون إليه عابرين المضيق محررين الأرض، وضاربين على أيدي ملوك الطوائف؛ عائدين بالأندلس مرة أخرى إلى وحدة الأرض والناس[2].

---

(1) نفسه- ج2 ص278.

(2) الشكعة- نفس المرجع- ج2 ص279-280.

إنّ دوزي صاحب جهد كبير في الدراسات الأندلسية الإسلامية وجهوده الطيبة في نشر ما تعهده من كتب التراث، ولكنه أفسد كل جهده بما كانت تحفل به مقدماته من أخطاء، وبالأحكام الفاسدة التي أصدرها ضد الحضارة الإسلامية، والاستنتاجات الخاطئة التي توصل إليها[1].

عمد المستشرق رينهارت دوزي فيما عمد إليه من تشويه الوجوه الإسلامية إلى الحملة على المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين، ولم يجرؤ دوزي على التطاول على الملك العظيم يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وموحد الأندلس بعد أن حرر أرضه من الغزاة الفرنجة، وخلّص الناس من تحكم ملوك الطوائف وفسادهم، ولكنه أي دوزي تصيّد عبارات أوردها عبد الواحد المراكشي عندما تحدث عن المرابطين في كتابه المعجب الذي نشره دوزي نفسه في أوائل العقد التاسع من القرن التاسع عشر. يقول عبد الواحد المراكشي: "اختلت حال أمير المسلمين بعد الخمسمائة اختلالًا شديدًا؛ فظهرت في بلاده مناكر كثيرة، لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد...، واستولى النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور...، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزايد تغافله، ويقوى ضعفه، وقنع باسم إمرة المسلمين، وما يرفع إليه من الخراج، وعكف على العبادة والتبتل؛ فاختلّ عليه لذلك كثير من بلاد الأندلس، وكادت تعود إلى حالها الأولى"[2].

---

(1) نفسه- ج2 ص281.

(2) تاريخ الفكر الأندلسي- ص34-35/ مناهج المستشرقين- ج2 ص291.

يلتقط دوزي هذه العبارات التي أملاها عبد الواحد المراكشي- إذ من المعروف أنه أملى كتابه من ذاكرته- في شأن علي بن يوسف ابن تاشفين فيجسمها وينفث فيها سمومه، ويَسِمُ دولة المرابطين كلها بالبربرية والتخلف ويصف السلطان علي بن يوسف بـ"الرجل التافه"، ويتباكى على الشعر العربي في العصر المرابطي فيقول إنه انتقل من القوة وخلو البال والخفة واللهو إلى الجبن والجفاف والحزن والتديّن[1].

هكذا تكون الخفة واللهو من وجهة نظر المستشرق الكبير صفتين تدفعان بالشعر إلى مرتبة القوة، وبالتالي إلى تمجيد عصر ملوك الطوائف، وتكون صفتا الحزن والتديّن ظاهرتين تهويان بالشعر إلى مرتبة الضعف، ثم إلى التشهير بالمرابطين، والحملة عليهم والنيل من مروءتهم.

الواقع أن الأمر مختلف عن ذلك كل الاختلاف؛ فلقد مجّد دوزي ملوك الطوائف لكونهم من واقع ضعفهم السياسي ومحاربة بعضهم بعضًا، والاستعانة بالفرنجة في هذه الحروب قد زلزلوا الأرض زلزالًا تحت أقدام الأمة الإسلامية في الأندلس، ويحمل دوزي في الوقت نفسه على المرابطين؛ لأنهم وحّدوا صفوف المسلمين، ورأبوا صدعهم، وهزموا أعداءهم، وخلّصوا المسلمين من هؤلاء الملوك الضعفاء.

ليس المنطق وحده هو الذي يقرر ذلك، ولا الاستقراء النزيه للتاريخ فقط هو الذي يؤكد هذه الحقيقة، ولكن عددًا من المستشرقين الإسبان هم الذين تولوا الردّ على دوزي؛ فنقضوا دعواه وسفّهوا أفكاره.

---

(1) تاريخ الفكر الأندلسي- ص35-36

* **الدكتور حسن حبشي**: يقول في مقدمة ترجمته لكتاب تاريخ مسلمي إسبانيا: "غير أنه تهيأ لهذا التاريخ والحضارة العربية بشبه جزيرة إيبيريا عالم غربي وقف حياته عليهما؛ ذلك هو المستشرق الهولندي رينهارت دوزي الذي ولع بدراسة العرب والمسلمين في إسبانيا على وجه الخصوص، وظهرت آثاره فيما خلفه من مؤلفات قيمة في هذا المجال...، والواقع أن تاريخ الأندلس ظلّ شغل دوزي طول حياته حتى أصبح فيه العلم المفرد في وقته، والذي نسج على منواله من جاؤوا بعده وهم قلة، وظلّ كتابه مرجعًا مهمًا بل المرجع الأول لدارس تلك الفترة من التاريخ بشقيه الحضاري والسياسي"[1].

* **المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال** يقول: "عندما أصدرت مطبعة بريل بليدن منذ ثلاثة أرباع القرن كتاب تاريخ مسلمي الأندلس للعالم الهولندي الشهير رينهارت دوزي، أعلن المستشرقون والمؤرخون أن خطوة كبرى قد اتخذت لمعرفة فترة من تاريخ إسبانيا الوسيط كانت لا تزال جدّ غامضة حتى ذلك الحين، ولم يُعالج الموضوع بأكمله من زاوية جديدة فحسب؛ بل إنه شيّد أول مرة على أسس علمية دقيقة، ويرجع الفضل في ذلك إلى قراءات دوزي التي لا تحصى، وإلى مقدرته على العمل. تلك القدرة التي لا تزال تنتزع الإعجاب منّا إلى الآن؛ فقد مكّنته هذه المقدرة من البحث في المصادر الأصلية مصدرًا وراء مصدر، وفي الحوليات العربية واللاتينية والإسبانية بالرغم من أن معظمها لا يزال غير منشور، وتحتويه المخطوطات الموزعة في أنحاء أوروبا، التي يمكن أن تلقى بصيصًا من النور على التاريخ السياسي والاجتماعي للإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية"،

(1) دوزي- تاريخ مسلمي أسبانيا- ج1 ص6.

ويضيف قائلًا: "وقد أصبح كتاب دوزي منذ عام 1860 في عداد المراجع الأساسية (الكلاسيكية)"[1].

* **المستشرق الإسباني جارسيا قومث:** يقول في وصف ملوك الطوائف مُناقضًا دوزي: "بين ناري النصارى في الشمال والبربر في الجنوب وقف ملوك الطوائف وقد وهن أمرهم، وأضعفهم الترف والبذخ، لا يكاد سلطان أحدهم يتخطى حدود بلده؛ فكانت دويلاتهم أشبه بجمهوريات إيطاليا في ثياب شرقية، وسادت عصرهم كله روح من البذخ المسرف، والإجرام السافر من المطامع والنزوات ومن الخناجر والسموم".

* **المستشرق آنخل جنثا لث بالنثيا:** يُقرّر أن انتثار عقد الأندلس وتفرّق أمره في دول الطوائف كان في ذاته سبب ضياع الأندلس؛ لأن هذه الدويلات الصغيرة كانت على حال من الضعف لم تستطع معها أن تثبت لهجمات النصارى الذين وحدوا قواهم أمام المسلمين الذين لم تتوقف الخصومات بينهم قط، بل لقد أصبح ألفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة سنة 478هـ/ 1085 في مركز مكّن له من أن يعين بعض ملوك الطوائف على بعض، ويتدخّل في شؤون مملكة بلنسية، وعظمت قوته وزاد خطره على المسلمين حتى خافه المعتمد، ودخل في ولائه وزوّجه إحدى بناته (كذا).

هنا بدأ الفقهاء- وقد رأوا الإسلام ينحسر مدّه، ويتقلص ظلّه- يتجهون إلى إفريقية لاستصراخ يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين؛ فشد الرحال إليه- على الرغم من معارضة الملوك- وفد يضم قضاة

(1) دوزي- المرجع نفسه- ج1 ص9.

بطليوس وغرناطة والوزير أبا بكر ابن زيدون ولد الشاعر الكبير أبي الوليد؛ فلبى السلطان المرابطي دعوتهم، واستجاب إلى استصراخهم، وعبر إلى الأندلس ثلاث مرات، وحقق انتصارات كبيرة على ألفونسو والجيوش المتحالفة معه، ووحّد الأرض والشعب، وحين تبين للفقهاء المسلمين أن آفة الأندلس هي ملوكه لتفرق كلمتهم، وعجزهم عن صدّ الجيوش النصرانية أصدروا فتواى بعزل ملوك الطوائف؛ فدخل الأندلس كله مرحلة جديدة من القوة تحت حكم يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين، وصارت المملكة الإسلامية تشمل الأندلس جميعه ومساحة كبرى من شمال إفريقية[1].

هذه آراء مستشرقين كبيرين في الرد على دوزي.

ولكن يبقى بعد ذلك وصف دوزي يوسف بن تاشفين بالرجل التافه فهل كان يوسف بن تاشفين رجلًا تافهًا فعلًا، وهل يليق برجل يدّعي العلم وينتسب إلى طبقة المستشرقين أن يكون الشتم والسبّ إحدى وسائله لكتابة التاريخ.

وهل يكون تافهًا من يستنجد به ملوك الطوائف اللاهون المتخاذلون؛ فيلبي دعوتهم ويزحف بجنوده من مراكش إلى الأندلس ويكتسحها، ويهزم جيوش النصارى في موقعة بعد موقعة، ثم يجهز عليهم في وقعة الزلاقة المشهورة سنة 479هـ/ 1086م التي كان أحد فرسانها الملك الشاعر المعتمد بن عباد.

وهل يكون تافهًا من يُسارع إلى مُبايعته ثلاثة عشر ملكًا، ويسلّمون عليه بأمير المسلمين، وكان يلقب قبل ذلك فقط بالأمير.

---

(1) الشكعة- نفس المرجع- ج2 ص292-293.

عاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش، وبقي على اتصال بالأندلس، ثم لم يلبث أن سيّر الجيوش إليها، ودخل غرناطة في السنة نفسها وفيها آخر الصنهاجيين عبد الله بن بلقين[1].

إن دوزي لم ينل من يوسف بن تاشفين، وإنما نال من نفسه، وأما المؤرخون الصادقون فقد وصفوا ابن تاشفين بقولهم: "كان حازمًا ضابطًا للنفس ماضي العزيمة...، ولعل الذي جعل دوزي يفقد توازنه فيقع فيما تردى فيه من خطيئة هو ما كتبه يوسف بن تاشفين على دينار: كان أحد الوجهين مكتوبًا عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، "**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**"، كان دوزي ملحدًا مخادعًا للإسلام والمسلمين؛ فلم يطق أن يقرأ شعارات أمير المسلمين المكتوبة على دينار، وتمخض غضبه عن تلك السقطة الكبيرة[2].

* **المستشرق الإسباني خوليان ريبيرا**: وأما بالنسبة لاتهامات دوزي عصر المرابطين بالتخلف الفكري والتأخر الأدبي؛ فإن المستشرق بالنثيا يستعير آراء أستاذه خوليان ريبيرا في الرد على دوزي، يقول **ريبيرا** من مقال طويل كتبه عن ابن قزمان الزجال المشهور: "استقرت في عقول الناس عن العصر المرابطي صورة من نسج الخيال لا تمت للواقع بصلة لشعب متعصب عدو للفلسفة منصرف إلى اضطهاد الناس؛ فلقد كان شعر ابن قزمان يحمل إلينا نسيمًا جديدًا؛ فهو غريب في روحه، ينقل إلينا نفحات من أجواء

(1) الشكعة- نفس المرجع- ج2 ص293.
(2) الشكعة- نفس المرجع- ج2 ص294.

المجتمع العليا منها والدنيا، هذا المجتمع الذي كان مدركًا لقيمته فخورًا بثقافته الأدبية المهذبة".

ويُمضي ريبيرا قائلًا: "إنه من الصعب أن نجد فترة من التاريخ الإسباني تألق فيها مثل هذا العدد من عباقرة وعظماء من هذا الطراز من المفكرين والشعراء وأهل الأدب ورجال العلم، على الرغم من أن الشعب ترك قياده السياسي والدفاع عن أرضه إلى الأفارقة وهو المرابطين، ولما كان الأندلسيون هم الشعب الأوروبي الوحيد الذي ازدهرت عنده الفنون بشتى صنوفها والآداب والفلسفة وغيرها ازدهارًا عظيمًا؛ فقد أصبحوا المثل الذي يُحتذى، وسوق ثمرات الفكر الذي إليه يقصد طالبو المعرفة، وحينما نهضت أوروبا نهضتها الفلسفية والعلمية والأدبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين كان الأندلسيون من أكبر شعوب أوروبا أثرًا في الفلسفة والفلك والطب والقصص وشعر الملاحم وما إلى ذلك[1].

* **المستشرق الإسباني جنثالث بالنثيا:** يُعقِّب على كلام أستاذه (ريبيرا)، ويُقرّر أن فنونًا أدبية كبرى وصلت إلى أرفع درجات تطورها خلال عصر المرابطين- تمامًا على النقيض مما ذهب إليه دوزي-؛ ففي ميدان النقد الأدبي ظهر الفتح بن خاقان وابن بسّام، وفي التاريخ ظهرت مؤلفات ابن بشكوال والضبّي، ومن كتاب التراجم ابن خير، وفي الجغرافية أبو حامد الغرناطي والإدريسي، وفي الفلسفة ابن باجة، وبرع في الرياضيات ابن مسعود وابن سهل الضرير وجابر بن أفلح الإشبيلي،

(1) بالنثيا- تاريخ الفكر الأندلسي- صص35-37/ الشكعة- نفس المرجع- ج2 ص294.

وفي الطب أبو الصلت الداني وابن باجة وأبو مروان وأبو العلاء ابني زهر، وفي الفقه ابن أبي الخصال والقاضي عياض بن موسى، وفي الحديث الرُّشاطي والقاضي عياض، وفي النحو ابن البادش، وفي علوم الدين أبو بكر ابن العربي[1].

يضاف إلى من ذكرهم بالنثيا الشاعر ابن حمديس الصقلي وعبد الله ابن سارة الشنتريني وابن خفاجة وابن الزقاق وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز، وفي التاريخ أبو بكر ابن الصيرفي مؤلف كتاب "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"، واليسع بن عيسى الغافقي مؤلف كتابي "فضائل أهل المغرب"، و"المغرب في محاسن المَغرب"، وأبو عامر محمد بن يحيى بن ينق صاحب كتاب "في ملوك الأندلس والأعيان والشعراء بها"، ومن أصحاب التآليف في طبقات الرجال أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري صاحب كتاب "أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهّاد الأبرار"، وفي الحديث أبو علي بن سكرة الصدفي وأصحابه وتلامذته الذين مثلوا أكبر تجمع لرجال الحديث في العالم الإسلامي كله.

إن هذا العدد الهائل من العلماء الكبار وما أنتجوه من مؤلفات علمية دليل على النبوغ العلمي على عهد المرابطين عكس ما يدعيه دوزي[2].

ومن علماء الحديث أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري مؤلف "تجريد الصحاح الستة" و"أخبار مكة والمدينة وفضلهما"، و"كتاب في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطأ والسنن والنسائي

(1) بالنثيا- نفس المرجع- ص37-38/ مناهج المستشرقين- ج2 ص279-280.
(2) الشكعة- مناهج المستشرقين- ج2 ص295.

والترمذي"، ومن المفسرين عبد الحق غالب بن عطية، وفي الفلسفة ابن السيد البطليوسي صاحب "كتاب الحدائق"، وفي التصوّف أبو العباس ابن العريف الصنهاجي صاحب كتاب "محاسن المجالس"، وفي الرياضيات والفلك ابن مسعود الإشبيلي وجابر بن أفلح الإشبيلي، وابن سهل الضرير الغرناطي، وأبو إسحاق البِطْروجي الذي اخترع نظرية جديدة في علم النجوم.

كل هذا يثبت أن عصر المرابطين لم يكن عصر تخلف وجمود كما ذهب إليه دوزي، وإنما كان عصر ازدهار في مختلف العلوم[1].

* **الدكتور أكرم فاضل:** يقول مُترجم كتاب "المُعجم المفصّل بأسماء الملابس العربية": "لا أدري هل أحمد نفسي أم ألحاها على القيام بترجمة هذا المعجم، إذ لم أكد أخطو في شعابه بضع خطوات حتى قامت بوجهي عقبات لا حصر لها: فمن لغات أجنبية قد يبلغ تعدادها العشرين، غربية وشرقية، قديمة وحديثة...، والحديثة كالفرنسية والهولندية والألمانية والإسبانية مكتوبة بلغة قديمة، والقديمة مكتوبة بلغة أقدم كاللاتينية واليونانية، وهناك الآرامية والسريانية والعبرانية والقبطية والحبشية، وثمة كلمة يقول عنها المؤلف إنها كلدانية في حين ظهر بعدئذ أنها عبرية، وهو يستطرد استطرادات عجيبة يهواها الطبع العربي، ولا يستنكرها الطبع الجرماني، ولكن السليقة اللاتينية تعافها وتستنكرها، ولو أن دوزي كان يعمل تحت إشراف أستاذ فرنسي لنسف كتابه نسفًا.

(1) الشكعة- مناهج المستشرقين- ج2 ص296.

ودوزي لا يكتفي بالاستطراد، بل يفسر النصوص تفسيرًا خاطئًا، ويبني على ذلك التفسير حكمًا خاطئًا، ويوصي بإضافة التصريف الفلاني الذي ابتدعه إلى المعاجم العربية، والتصريف الآخر إلى القواميس الفارسية، وهو يُدحرج الحوادث التاريخية دحرجة سريعة في تعليقاته حتى يكاد ينسيك الموضوع الأصلي، وشهدته مرة يضيف ثلثين من التعليقات إلى الثلث الثالث وهو النص من دون ضرورة ملحة، ويضرب صفحًا عن ذكر المصادر أحيانًا: فهناك اسم بدون مؤلَّف، ومؤلفات بدون مؤلِّف"[1].

* **المستشرق الألماني يوهان فوك** يقول: "وهكذا فقد وجد دوزي الفرصة سانحة لبحث تاريخي نقدي، وبتتلمذه في قواعد اللغة وموهبته فيها، وإلمامة لا بأس بها بالإسبانية وآدابها فضلًا عن فطنته واجتهاده؛ فقد جمع بين ميزات اللغويين والباحثين في التاريخ...، وبهذه الأعمال أقيم الكشف عن الأندلس على أسس موثوقة...، ولم يستطع بسبب تقيّده الشديد بأفكار عصره من تقدير فضل سابقيه، وكان لا بد له بجانب ذلك من تحميل منهج النقد التاريخي الكثير الكثير؛ فخرج منه بالنتيجة القائلة: إن الدراسات الإسبانية التاريخية الحديثة لا بدّ أن تأخذ على عاتقها في بعض وجهات النظر...، إن الجمع بين الملكتين التاريخية واللغوية اللتين تميز بهما دوزي يظهر أشدّ ما يكون في صناعته المعجمية"[2].

---

(1) رينهارت دوزي- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب- ترجمة أكرم فاضل- الدار العربية للموسوعات-بيروت- ط1- 1433هـ-2012- ص5-6.

(2) يوهان فوك- تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين- نقله عن الألمانية عمر لطفي العالم- دار المدار الإسلامي- بيروت- ط2- 2001- ص185-186.

* **الدكتور إحسان عبّاس**: قال في مقدمة تحقيقه لكتاب نفح الطيب: "خير طبعة ظهرت منه هي تلك التي تولاها بالعناية كل من دوزي ودوجا وكريل رايت؛ فقد اعتمد هؤلاء على النسخ الخطية التي توفرت لهم في باريس ولندن وأكسفورد وغوطة وبرلين وكوبنهاجن وبترسبورغ، ونشروا الكتاب في قسمين يحتوي كل قسم على جزأين، وألحقوا بذلك جزءًا صغيرًا يضم الفهارس والتصويبات.

ومع أن هذه الطبعة لم تشمل إلا القسم الأول من النفح؛ فليس ذلك مما يحول بيننا وبين كلمة إنصاف لهؤلاء المحققين، ذلك أنهم توخوا الدقة في مقارنة المخطوطات، واجتهدوا في مراجعة نصوص النفح على ما تيسّر لديهم حينئذ من مصادر؛ فجاء الكتاب ذا طابع علمي موثق، ولهذا اعتبرتُ هذه الطبعة أصلًا مُعتَمَدًا، وأشرتُ إليها في حواشي الطبعة الجديدة باسم أشهرهم في الدراسات الأندلسية وهو "دوزي"، ولم أحاول أن أُعيد النظر في المخطوطات التي اعتمدوها ثقة مني بأمانتهم التي تبلغ حد التزمّت في إثبات الفروق بين مختلف النسخ الخطية"[1].

* **الدكتور أحمد مختار العبادي**: "وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر مستشرق كبير، هولندي الجنسية، اسمه رينهارت دوزي (Reinhart Dozy) عكف على دراسة تاريخ إسبانيا من خلال المصادر العربية نشرًا علميًا دقيقًا، ويدرس أيضًا التواريخ الإسبانية المسيحية التي كتبها الرُّهبان والقَساوسة في العصور الوسطى، وهي مصدر

(1) المقري التلمساني- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق إحسان عبّاس-دار صادر- بيروت- طبعة جديدة- 1997- ج1- مقدمة المحقق- ص19

مهم من الناحية التاريخية، ثم وضع في النهاية كتابًا يُعدّ أول كتاب عالج تاريخ إسبانيا مُعالجة علمية وهو... أي تاريخ مسلمي إسبانيا، ...

على أن تاريخ دوزي لم يتناول تاريخ العرب في إسبانيا حتى نهايته، بل وقف عند عصر ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري، كذلك عني دوزي بالناحية السياسية أكثر من عنايته بالناحية الحضارية والحياة الاجتماعية، ولكنه على كل حال يُعدّ أول كتاب علمي لتاريخ العرب في إسبانيا.

إلى جانب هذا الكتاب، كتب دوزي كتابًا آخر في مجلدين اسمه... أي بحوث في تاريخ العرب في إسبانيا، وهو عبارة عن دراسات للوقائع التاريخية الغامضة أو الأماكن الجغرافية غير المعروفة أو الشخصيات الأندلسية المجهولة وهكذا، كذلك صنّف دوزي مُعجمًا عربيًا في جزأين للكلمات التي لم ترد في المعاجم العربية سماه... أي إضافة إلى المعاجم العربية، وظلت كتب دوزي وبحوثه هي العُمدة في تاريخ الأندلس حتى القرن العشرين"[1].

* **الدكتور حسين مؤنس**: "والمستشرقون بدؤوا عملهم العلمي الضخم بإعداد أدوات العمل؛ فحققوا المعاجم ونشروها، وواحد منهم- وهو رينهارت دوزي- عمل مُلحقًا للقواميس العربية، جمع فيه كل الألفاظ التي عثر عليها فيما قرأ من النصوص، ولم ترد في المعاجم العربية، ومعظمها من الدخيل والمعرّب والعاميّ والاصطلاحيّ، وما

(1) أحمد مختار العبادي- في تاريخ المغرب الأندلسي- دار النهضة العربية- بيروت- د.ت- ص358-359.

يستعمل في صنعة من الصناعات أو حرفة من الحرف، ثم عمل معجمًا لأسماء الملابس العربية، ويدخل فيها أنواع النسيج"[1].

هذه مختارات موجزة مما كتب عنه أبرز الباحثين من المستشرقين والمسلمين، ومع ذلك فإن لدوزي إيجابياته وسلبياته، ونعتبر أن إيجابياته كانت أكثر من خلال الكمّ الهائل من المؤلفات التي ألّفها عن تاريخ وحضارة المسلمين، وبخاصة في الأندلس.

(1) الدكتور حسين مؤنس- التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ- دار الرشاد- القاهرة- الطبعة الثانية- 1421هـ/ 2001م- ص58-59.

ث- ثبت ببليوغرافي مختصر لأهم أعماله:

1- المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب- المعهد الملكي الهولندي- آمستردام- 1845م.
2- ثبت شرح فيه الكلمات الهولندية المشتقة من اللغات العربية والعبرية والكلدية والفارسية والتركية- 1867.
3- معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية من أصل عربي بمساعدة السيّد ولهلم إنجلمان- ليدن- 1869م.
4- تكملة المعاجم العربية- 1877- 1881م- ليدن.
5- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ترجمة دوزي مخطوطه، وزوّده بحواشٍ وتعليقات- المجلة الآسيوية، السلسلة الرابعة- المجلد الثالث- ماي- جوان 1844م.
6- شرح تاريخي على قصيدة ابن عبدون تأليف ابن بدرون- بريل- ليدن- 1846م.
7- تعليقات على بعض المخطوطات العربية-1847-1851م- بريل- ليدن.
8- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأبي العباس المقري، وصدر بعنوان "مختارات حول تاريخ وآداب العرب في إسبانيا"- بريل- ليدن- 1858- 1860م.
9- تاريخ الموحدين تأليف عبد الواحد المراكشي- بريل- ليدن- 1847م.
10- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأحمد بن محمد ابن عذاري المراكشي- بريل- ليدن- 1848-1851م.
11- وصف إفريقية وإسبانيا أو "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس" بمعاونة دي خوية- بريل- ليدن- 1866م.

12- "تقويم قرطبة لسنة 961م" عريب بن سعيد- ليدن- 1873م.
13- أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوسيط (في جزأين)- بريل- ليدن- 1849م.
14- تاريخ المسلمين في إسبانيا إلى الفتح المرابطي (في أربعة أجزاء)- بريل- ليدن- 1851-1861م.
15- كلام كُتّاب العرب في دولة بني عبّاد (في ثلاثة أجزاء)- بريل- ليدن- 1852م.
16- "تاريخ الإسلام من عهد محمد إلى يومنا- ترجمه من الهولندية إلى الفرنسية فيكتور شوفان- 1879م.
17- اليهود في مكة وعنوانه الكامل "بنو إسرائيل في مكة من زمن داود (عليه السلام) إلى القرن الخامس الميلادي: مساهمة في نقد العهد القديم والبحث في أصل الإسلام"- 1864.
18- كتاب السِّيد- ليدن- 1860م- بريل- ليدن- 1860م.
19- إسبانيا في عهد كارلوس الثالث، مقالتان تعليقًا على كتاب فرار دل ريو- مجلة Gids- 1858م.
20- عرض ونقد ترجمة البارون دو سلان لمقدمة ابن خلدون- المجلة الآسيوية- السلسلة السادسة- المجلد الرابع عشر- المطبعة الملكية- باريس- أوت- سبتمبر 1869م.
21- نقد كتاب "إسهامات في تاريخ العرب المغاربة"- مجلة الجمعية الشرقية لألمانيا (ZDMG)- 1866م.
22- نقد لرسالتي إرنست رينان "ابن رشد والرشدية" و"الفلسفة المشائية عند السريان"- المجلة الأسيوية- عدد يوليو 1853م.
23- نقد لنشرة وترجمة "رحلة ابن بطوطة" التي قام بها دفريمري وسانجيناتي (Sanguinetti) إلى الفرنسية- حوليات جتنجن- عدد 25- فبراير 1860م.

24- رسائل عن بعض الكلمات العربية الموجودة في الفصل 624 من التاريخ القطالوني تأليف آن رامون مونتانر (An Ramon Muntaner)- المجلة الأسيوية- أغسطس 1847م.
25- ثلاث مقالات طويلة عن الأدب الإسباني في العصر الوسيط- مجلة هيس- 1848م.
26- تحليل مقالة كتبها دوفرميري (Defrémery) عن "أسراء الأمراء"- المجلة الأسيوية- نوفمبر- ديسمبر 1848م.
27- تصحيح نص رسالة ابن الخطيب التي نشرها سيمونيت (Simonet) في كتابه الموسوم بـ"وصف مملكة غرناطة تحت حكم بني نصر استناداً إلى المؤلفين العرب مع نشر لنص لمحمد ابن الخطيب"- مجلة الجمعية الشرقية الألمانية (ZDMG)- 1862م.
28- روسيا في القرن السابع عشر- 1856.
29- موقف النمسا وإسبانيا من الثورة الفرنسية- المجلة التاريخية للسيد سيبال- 1861م.
30- البؤس في فرنسا على عهد لويس الرابع عشر بمناسبة صدور كتاب م. بونمير: فرنسا تحت حكم لويس الرابع عشر- 1865م.
31- رحلة كيلر إلى إسبانيا- 1865م.
32- القرطبيان عريب بن سعيد وربيع بن سعيد- مجلة الجمعية الشرقية الألمانية- 1866م.
33- دراسات عن الولايات المتحدة الأمريكية- 1870-1872م.
34- دراسة حول تاريخ بونيفاسيو الثامن لدرومان- مجلة آثينيوم الفرنسية- 1852م.
35- إسبانيا والثورة الفرنسية- المجلة التاريخية للسيد سيبال.
36- مقال مطول حول وليام دورانج، أغنية الحركة القرنين الحادي عشر والثاني عشر- مجلة Gids- 1854م.

37- كيف أصبحت روسيا قوية: دراسات في التاريخ والعادات الروسية في القرن 17م- مجلة Gids – 1856.
38- فهرس المخطوطات الشرقية في المجمع الهولندي بأمستردام بمساعدة آخرين- ليدن- 1851م.
39- فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة ليدن في جزءين- بريل- ليدن- 1851م.

المواقع الشبكية التي تخصه:

1- فضل الاستشراق الهولندي على الدراسات الأندلسية: شبكة صوت العربية:
https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/2528
2- المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية: رينهارت دوزي
https://www.iicss.iq/?id=14&sid=118
3- رينهرت دوزي: الهولندي العربي- إسلام أون لاين:
رينهرت- دوزي- هولندي- بالعربي/https://islamonline.net
4- رينهارت دوزي- ويكيبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/رينهارت_دوزي
5- هنداوي: المساهمون رينهارت دوزي:
https://www.hindawi.org/contributors/25829508/
6- المعرفة: رينهارت دوزي:
https://www.marefa.org/راينهارت_دوزي
رينهارت-دوزي-في-تكملة-المعاجم-العربية
https://www.alaraby.co.uk/culture/

خاتمة

في ختام هذا البحث لا يسعنا إلا أن نقول إن المستشرق الهولندي رينهارت دوزي كان من الباحثين الأوروبيين الذي أسهموا في نفض الغبار عن تاريخ بلاد المسلمين عامة وتاريخ الأندلس خاصة، وإن كان بعض الدارسين يعيبون عليه بعض السقطات التي وقع فيها عند دراسته لتاريخ المسلمين وبخاصة في الأندلس؛ فإن ما يُحسب له هو تلك الدراسات المتميّزة عن الأندلس، وبخاصة منها تاريخ مسلمي إسبانيا الذي عُدَّ في وقته وإلى غاية القرن العشرين من أبرز الدراسات المتعلقة بالأندلس، بخاصة وأنه اعتمد فيها على جلّ المخطوطات العربية منها والنصرانية المتعلقة بهذا التاريخ.

كما أن إسهام دوزي كان كبيرًا في تحقيق ونشر أمهات المصادر التاريخية الأندلسية، ومنها البيان المغرب في أخبار الأندلس، والمغرب لابن عذاري المراكشي، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب وغيرها؛ التي تُعدّ المصادر الأساسية لهذا التاريخ، إضافة إلى أن المعاجم التي أنجزها، وعلى رأسها تكملة المعاجم العربية مُفيدة جدًّا في دراسة التاريخ المغاربي؛ لأنها تُسهّل على الدارس فهم كثير من الكلمات العامية الواردة في المصادر التاريخية.